مركز تحقيق التراث

كتاب الملاهي وأسمائها

من قبل الموسيقى

تأليف

أبي طالب المفضل بن سلمة النحوي اللغوي

المتوفى سنة ٢٩٠ هـ

(عن نسخة وحيدة بخط ياقوت المستعصمي الخطاط)

وملحق به موجز في (اللهو والملاهي) لابن خرداذبة نديم المعتمد بالله

ثم نبذة مختصرة في الرقص وأنواعه وشمائله مجهولة المؤلف

نقلاً عن كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)

لأبي الحسن المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

تحقيق وشرح

غطاس عبد الملك خشبة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٤

مركز تحقيق التراث

كتاب

الملاهي وأسمائها

من قبل الموسيقى

تأليف

أبي طالب المفضل بن سلمة النحوي اللغوي

المتوفى سنة ٢٩٠ هـ

(عن نسخة وحيدة بخط ياقوت المستعصمي الخطاط)

ومُلحق به موجز في (اللهو والملاهي) لابن خرداذبة نديم المعتمد بالله

ثم نبذة مختصرة في الرقص وأنواعه وشمائله مجهولة المؤلف

نقلاً عن كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)

لأبي الحسن المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

تحقيق وشرح

غطاس عبد الملك خشبه



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٤



مقدّمة التحقيق :

(كتاب الملاهى وأسمائها من قِبل الموسيقى)

يبدو أنّ هـذا الكتاب أقـدمُ ما كتبه العرب فى الإسلام عن أسماءِ الملاهى المستعملة فى الغِناء ، مدعّمًا بشواهدٍ من الشعر ، وقد ذكره فى « مصادر الموسيقى العربيّة » المستشرِق الإنجليزى « د . هنرى فارمر » (١) ، باسم : كتاب (العود والملاهى) ، نقلا عن ابن النديم .

وهذه التسمية واضحٌ أنها من وضع صاحب كتاب « الفهرست » عمّا جاء فى استهلال القول ، بأنه للردّ على المُدّعين الذين يزعُمون أنّ العرب لم تكن تعرِف من آلاتِ الملاهِى فى الغِناء مـا هو باسم العود ، وليس فى كلامهـم شئٌ من أسماءِ أوتارِه ، وأنّ أمر استعمال الغناءِ والملاهى بأصنافها سهل وأنها ليست بحرام .

فأما عنوان الكتاب فهـو ما ذكرناه نقـلاً عمّا جاء بالمخطوط المحفوظ بالآستانة ، بخط ياقوت الرُّومىّ ، مولَى المستعصِم ، وهو نسخةٌ وحيدة مصوّرة بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٣ (فنون جميلة) .

وقـد ترجمه إلى الإنجلـيزية : « ج . روبسون » فى مجلة الجمعية الملَكية الأسيويّة سـنة ١٩٣٨ م : ثم نُشِر بالعربيّة فى ذيل كتاب (الموسيقى العِراقيّـة فى عهد المغول) للاستاذ العزّاوى سنة ١٩٥١ م .

---

(١) انظر : (مصادر الموسيقى العربية) ، ترجمة : د . حسين نصار سـنة ١٩٥١ م ، — وانظر : ترجمة المفضل بن سلمة فى كتاب (الفهرست) لابن النديم .

ونحن لم نكن فى حاجةٍ مُلِحّةٍ لتحقيق هـذا الكتاب وإعداده للنشر ، غير أنه لمـا كان موضوعه من المبدأ أنّ العودَ ذا الأوتار عربىٌّ الاسم والمنشأ ، وأنه من ملاهِى العرب ، على زعم المؤلف ، وكان لنا فى ذلك نظرٌ آخرَ أشدّ استقصاءً ، رأينا أن نبيّنه هنا وأن نصحّح بعضَ مـا قاله المؤلّف ، ليس من جهة أنّ العودَ غيرُ عربىّ ، ولكن من حيث أنّ اللفظ متى كان اسماً يختص بهذه الآلةِ بعينها ، كما تعرف إلى زماننا ، فهو تسميةٌ مُحْدَثَة ، ولم يعرف العربُ فى الجاهليّـة هـذا الاسم ، وليس فى أشعارِهم ذِكْرٌ للعود ذِى الأوتار الأربعة إلّا فيما يلِى القرن الثانى للهجـرة ، فلمّا ظهر اسمُ العـود بالعربيّة طغَى على أكثر الآلاتِ ذوات الأوتار فسمّيت به فى المعاجم وأكثر الكتب .

فأما فى الجاهليّـة فلم يكن للعربِ من الملاهى غيرَ الدّفوفِ والمزَاهِر ينظِمون بدقّاتها أزمنة الإيقاعات ، وكانوا يستعِيرون لذواتِ الأوتار أسماءها بالفارسيّة ممـا هو غيرُ عربىّ ، وأقرب هذه إلى آلةِ العود هو ما كان يعرف باسم : « البَرْبط » ، وهو من جنس الطنابير التى تتمـيّز بطول الساعِد ، الذى يُقَسم بدساتين كثيرةٍ فى مواضع محدودةٍ منه .

ولمـا كان اسمُ العود ، فى أكثر المراجع اللغـويّة يشترك دون تخصِيص مع أسماءِ أصنافٍ أخَر ليست من جنسِه ، فقد أوضحنا فى شرحنا هنا الفرقَ بين أصناف الآلاتِ تبعا لأسمائها المشهورة بها ، دون خلطٍ فى التعرِيف ودون أن يكون لآلة العود غير ما يخصّها بهـذه التسمية ، فأمّا تحريم الغِناء وإباحتِه فهو موضوعٌ آخر يخرج عما قصدناه من التحقيق .

ومؤلّف هـذا المخطوط غنىٌّ عن أن نفرد له ترجمةً هنا ، فقد جاءت ترجمتُه فى أكثر المراجع ، وأقربها إليـه ما ذكره ابن النديم فى كتاب : (الفهرست) ، قال :

« المُفَضّل بن سَلمة بن عاصِم ، لغوىٌّ عالِم ، كوفىّ المَذهب ، مليحُ الخطّ ، استدرك على الخليل فى كتاب (العين) ، وله :

كتاب (الفاخِر) .

كتاب (العود والملاهى) .

كتاب (ضياءِ القلوب فى معانِى القرآن) ، وهو كتابٌ كبير ، أكثر من عشرين جزءًا ، وله كتاب (الفاخِر فيما يلحن فيه العامّة) » .

ويقع المخطوط فى أربعةٍ وأربعين ورقة ، من حجم الثُّمن ، كلٌّ منها صفحةٌ واحدة مسطرتها سبعةُ أسطرٍ ، وسبعُ كلماتٍ أو ستّة فى كل سطر .

وهو مع صِغر حجمه يتناول عددًا من أسماءِ آلاتِ اللّهو القــديمة ، ممّا جاء ذِكرُها فى الشعر العربىّ إلى عهد المؤلف ، بعضُها بالعربيّة وبعضُها عن الفارسيّة ، وقد حاولنا استقصاءَ كلٍّ منها فى موضِعه ، ليكون الكتاب بعد التحقيق ذا فائدةٍ للدارسين والمتخصّصين فى تاريخ آلاتِ الموسيقى الشرقيّة والعربيّة خاصّة .

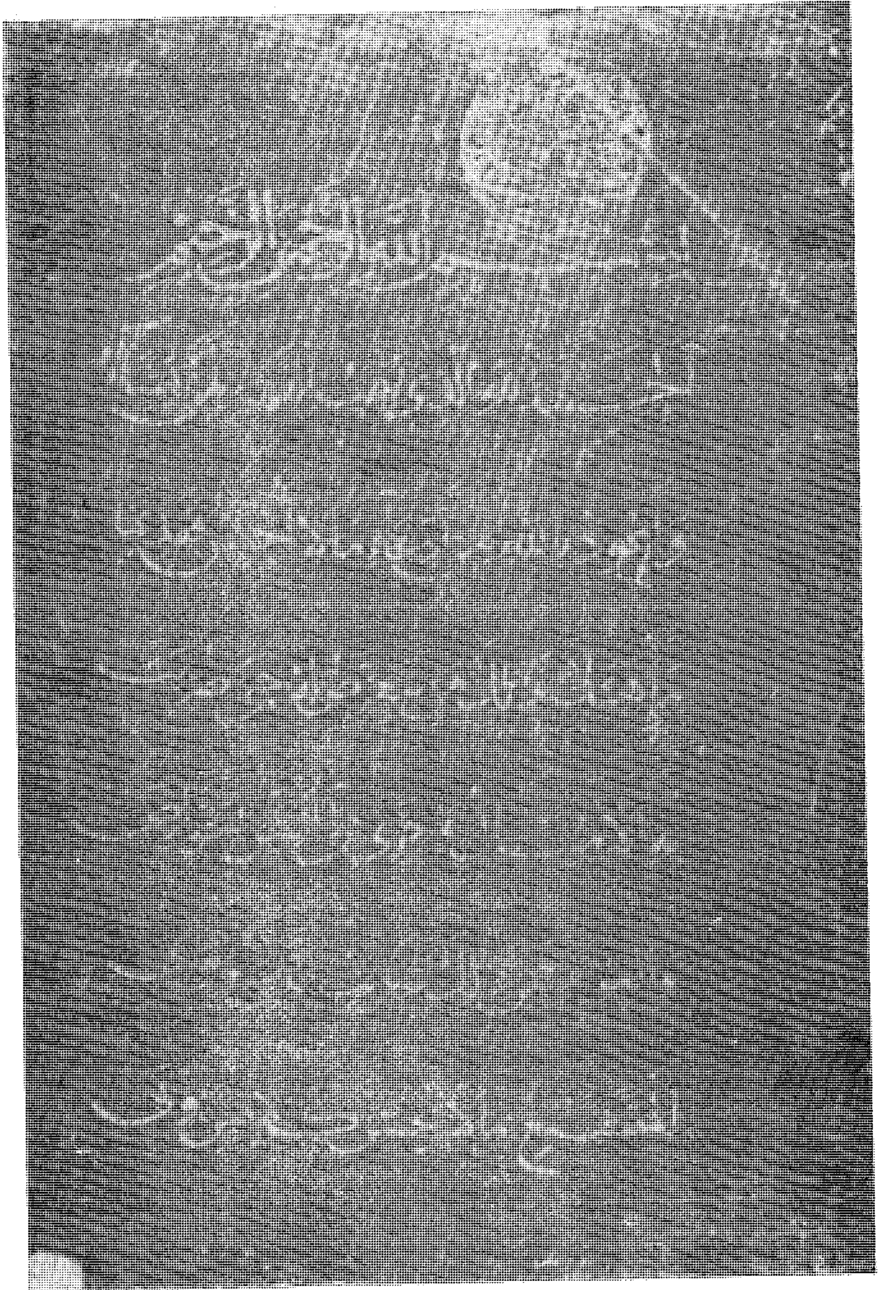
ولكى يكون هــذا الكتابُ أكثرَ إلمـاماً بموضوعِه ، فقــد ألحقنا به موجزاً من جنسِه فى (اللّهو والملاهى) ، من رواية المؤرخ أبى القاسم عُبيد الله بن خُرداذْبة المتوفّى سنه ٢٩١ هـ ، ثم نبذة فى الرقص وأنواعِه وشمائله ، نقــلاً عن كتاب : (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبى الحسن علىّ المسعودىّ المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، ونأمل نحن أن نكون قد أتينا فيه على ما يحتاج إليه الناظر فى مِثل مادته .

المحقـــق



صورة الصفحة الأُولى من المخطوط باسم (كتاب الملاهى وأسمائها من قِبلَ الموسيقى)

لوحـــة رقــم ٢



صورة الصفحة الثانية ، وهى ابتداء المخطوط

وتعرف عند [illegible]

وكان جميع غناء [illegible]

العرب على ذلك المثال ه وكان الغناء

عند العرب على ثلثة أوجه النصب

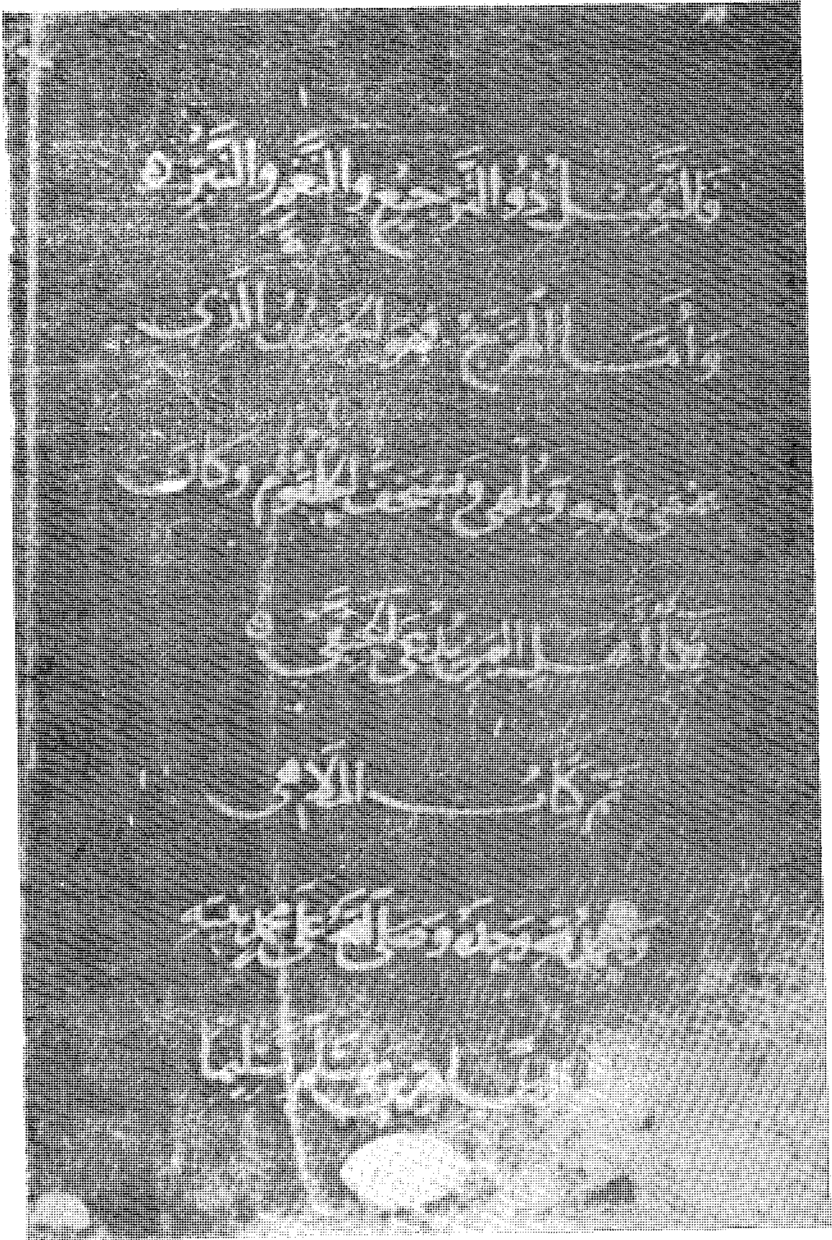
والسناد والهزج فأما النصب

فغناء الركبان وهو الذي يقال له المراثي

نغمته المثلث ه وأما السناد

صورة الصفحة رقم ٤٣ من المخطوط

لوحة رقم ٤



صورة الصفحة رقم ٤٤ — وهى آخر المخطوط

كتاب

(الملاهى وأسمائها ، من قِبل الموسيقىٰ) ، للمفضّل بن سَلْمة النحوِىّ اللُّغوىّ المتوفى سنة ٢٩٠ هـ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى يهبُ الفهمَ لمن يشاءُ وأعوذُ باللهِ من ادّعاءِ ما لا أحسِن ، فقديماً ما هتك ذلك من يتعرّض له حتى ضُرِبت به الأمثال وجَرى على ألسنِ الخَواصّ والعوامّ ، فمن ذلك ، الحديث الذى يروى :

« المتشبّع بما لا يحسِن كلابِسِ ثوبَىْ زُورٍ » ، وبعضهم يروِيه : « ... بما لا يملِك » .   [٢]

وفى هذا يقول الشاعر :

من تحلّى بغير ما هو فيهِ * فضحَتْهُ شواهِدُ الامتحانِ

وجرَى فى الرجالِ جَرْىَ هجينٍ * غادرَتْهُ الجيادُ فى الميْدانِ

وذُكِر لى ، عن بعض مَن يدّعِى العِلم ، أنه زَعم أنّ العربَ لا تعرف العود ، ولا فى كلامِها تسميةُ شىءٍ من أوتارِه وآلتِه ، فعزمتُ على تبيين أمرِ العودِ وغيرِه من الملاهى ، ومَن أوّلُ من عمِل شيئاً منها ، وما قالت العربُ فى أسمائها وأسماءِ آلاتِها[1] ، ليقف من احتاج إلى معرفة شىءٍ من ذلك عليه .   [٣]

---

(١) بالأصل : « آلتها » .

ثم رأيت أن أُقدِّم ذِكرَ ما قد جاءَ في ذلك من الرُّخَص ، ليعلم من استعمل شيئًا من هذه الملاهِي أنّ الأمرَ فيها بحمد اللهِ سهل وأنها ليست بحرام .

[٤] فمِن ذلك ، ما حدّثنا عُمر بن شبّة ومحمد بن شدّادٍ المِسمعيّ ، المعروف بُزرقان المتكلّم ، قال محمد بن شدّاد : سألتُ أبا عاصِم ، وقال عُمر بن شبّة : سُئل أبو عاصم النبيل ، عن القِراءة على الغِناء [١] ، وقِيل له : إنّ سُفيانَ بن عُيَيْنةَ يقول في قول النبي صلّى الله عليه وسلّم : من لم يتغنّ بالقُرآن فليس منا ، إنه من الاِستِغناء ، فقال أبو عاصم : ما صنع شيئًا .

[٥] أخبرنا ابن جُريج قال :

سألت عطاءً عن القِراءة على الغِناء ، فقال : وما بأْس بذلك !

---

(١) « القراءة على الغناء » : يعنى التغنى بالقرآن والتطريب به كأنه الغناء ، وفى ذلك أقاويل كثيرة يدخل بعضها التحليل والتحريم ، غير أنه يمكن ، مع ضبط المعانى بين القراءة والتجويد والغناء ، التفرقة بين ما هو جائز وغير جائز فى تلاوة القرآن الكريم .

فالقراءة هى تلاوة الكلام بالنطق على مجرى العادة مع إحكام الإعراب والمدّ والقصر دون خروج إلى لحن القول .

والتجويد هو تحسين القراءة والجهر بها وتنغيمها على طبقات ملائمة ، وتشبيع فصول المصوّتات من الحروف الحسنة فى المسموع وإخفاء المستبشع منها ، فهو أكثر بسطا من القراءات ، دون أن يتعمد القارئ أن يقرن ذلك بالإيقاع والوزن بين أجزاء الكلام .

فأما الغناء فهو صناعة فى ترجيف الكلام المنظوم أو المسجوع وتنزيله على طبقات صوتية فى جنس من النغم محدود ، ثم إعادة نظم المصوتات على جنس من الإيقاع محدود ، فتزول بذلك هيئة النطق بالكلام ، مما هو على مجرى العادة فى الشعر ، إلى طرائق فى الألحان تعرف بأسمائها اصطلاحا وتجنس تلحيناتها بذكر إيقاعها ونغمها ، و يظهر من ذلك أن الذى يجوز فى الغناء من لحن الكلام لا يجوز فى القراءات ولا فى التجويدات — انظر : المقال عن (القراء والمغنون) المنشور فى المجلة الموسيقية بالعدد ١٧ سنة ١٩٧٥ .

حدثنا عبدُ الله بن عُمَيرٍ الليثىّ : أنه كانت لداودَ نبىّ اللهِ ، عليه السلام ، مِعزفةٌ[1] إذا قرأ ضرب بها فيبكى ويُبكِى . [٦]

ذهب أبو عاصم أنّ التغنّىَ بالقرآن مَدُّ الصوتِ فيه وتحسِينُه ، وذهب سُفيان إلى الاستِغناءِ به عن كلّ دواءٍ .

والتغنّى يكون من الشعر والمال ، فمن الشعر قول حسّان :

تغَنّ بالشِعر إمّا كنتَ قائلَهُ * إنّ الغناءَ لهذا الشعرِ مضمارُ

ـــ المضمارُ هنا مَثَلٌ ، لأنّ المضمارَ للخيل إصلاحُها وتعريقُها ورياضَتُها حتى تستوِى ، فشبَّه إصلاح الغِناءِ لِوزن الشعرِ بذلك .

وقال الآخَر فى التغنّى من المال : [٧]

كم من غنِىٍّ رأيتُ الفقرَ أدركَهَ * ومن فقيرٍ تغنّى[2] بعد إقلالِ

وحدّثنا يعقوبُ بن إسحاق ، المعروفُ بابنِ أبى إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو بكرِ بن منصورِ بنِ سيارٍ ، قال : حدّثنا يونُس بن محمدٍ المُعَلّم ، قال : حدّثنا أبو أُوَيسٍ عن حسينِ بنِ عبدِ اللهِ بن عباس ، عن عِكْرِمة ، عن ابنِ عباس ، رضى الله عنه ، قال :

---

(١) « المعزفة » : من ذوات الأوتار الكثيرة التى يجعل فيها كل وتر بإزاء نغمة واحدة من النغم المفروضة فى جمع كامل ، كما فى آلة القانون والسنطير .

(٢) قوله : « تغنى » هنا ، بمعنى استغنى .

[٨] مرّ النبيُّ صلّى اللهُ عليـه وسلّم ، بحسّان ، وقد رَشّ فناءَ أُطمِه ، ومعه أصحابُه سِماطين(١) ، وجاريةٌ له يقال لها : شِيرين(٢) ، معها مِزهرٌ تختلِف به السّماطَيْن وهى تغنيهم ، فلما مرّ النبيُّ ، عليـه السلام ، ولم يأذَنْ لهـم ولم ينهَهُمْ ، فانتهى إليهـا وهى تقـول :

هـل علىّ وَيْحكُما * إنْ لهَوْتُ من حَرَجِ

[٩] قال : فتبسّم النبيُّ ، صلى اللهُ عليه وسلم ، وقال : لا حرجَ عليكِ إن شاءَ الله .

وحدّثنا يعقوبُ هذا : حدّثنا أحمد بن منصورٍ ، قال : حدّثنا أبو سلْمة النبودكىُّ قال : حدّثنـا حماد بن سَلْمة ، عن علىّ بن زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهران : أنّ

---

(١) السماط : الصف من الرجال ، يقال : مشى بين السماطين ، أى بين الصفين .

(٢) « شيرين » ، ويقال : (سـيرين) : جارية قبطيـة ، كان أهـداها المقوقس جريج ابن متى صاحب مصر سـنة ٩ هـ ، مع ماريا القبطية إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، التى تزوجها فولدت له ابنه إبراهيم ، ثم أهـدى « سيرين » إلى حسان بن ثابت الأنصارى ، وهى أم ابنه عبـد الرحمن بن حسان ، وكانت حسنة الصوت والغناء ، ولهـا فى شعر حسان لحن جيد من الثقيل الأول ابتداؤه نشيد ، فى قوله :

أُولادُ جَفْنـةَ عند قبرِ أبيهِـمُ * قـبرِ ابن ماريةَ الجَوادِ المفْضَلِ

يسقُون من وَرَدَ البـرِيصَ عليهمُ * كأسًا تُصفّق بالرحيق السّلْسِلِ

وهو أقدم صوت من الثقيل الأوّل غنى به فى الإسلام ، من قصيدة حسان بن ثابت الأنصارى التى أوّلهـا :

* أسألتَ رَسْمَ الدّار أم لم تسأل *

انظر : (الأغانى) ، لأبى الفـرج الأصفهانى ، ج ١٧ / ١٧٣ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ثم ج ٤/ ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية .

ابنَ عُمرٍ دخل على عبدِ الله بن جعفرٍ ، ذى الجناحَيْن ، فإذا عنده بَرْبَط (١) ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن علمتَ ما هذا ، فلك كذا وكذا ، قال : فنظر إليه ساعةً وقلَبَهُ ، وقال : أنا أبو عبد الرحمن ، ميزانٌ رومىٌّ (٢) !

[١٠]

---

(١) « البربط » : لفظ فارسى قديم ، أعجمى ليس من ملاهى العرب ، قيل إنه يعنى : صدر البطة ، وإن العرب حين سمعت به عربته باسم العود ، ونحن لسنا من ذلك التعريف على ثقة تماما فى اشتقاق اسم البربط .

والذى نراه أن « البربط » من جنس الطنبور ، وهو الطنبور الفارسى القديم ، ذو الوجه من الجلد ، ويعرف الآن باسم : الطنبور العجمى ، وصندوقه صغير ، بعضه مغطى بالجلد وبعضه بالخشب ، وجميعه قطعة واحدة محفورة ، والأصل فى تسميته أنه محرف عن (باربا تره) ، بمعنى الطنبور ذى الدف ، أى المعلق به صندوق مستدير كالطبلة ، فكان العرب يسمونه (البربط) ، وهو أيضا بهذه التسمية بالفارسية .

فالبربط أو الطنبور بوجه عام أقدم عهدا من العود ، ويتميز بطول الساعد حتى يكاد يبلغ أربعة أمثال ساعد العود ، وعليه دساتين كثيرة تمتد إلى قريب من الجمع التام بضعف ذى الكل ، والمشهور من أوتاره ، وتران هما : البم والزير ، بمعنى الأعلى فى الترتيب ثم الأسفل .

وأما العود ، كما يعرفه العرب ، فهو غير الطنبور ، وصندوقه أكبر ، على هيئة نصف كمثراة ، وله وجه من الخشب ويتميز بقصر الساعد ، فلا يربو على الشبر ، وأول ظهوره كان فى القرن الثانى للهجرة ، استنبطه منصور زلزل الضارب العوّاد المتوفى سنة ١٧٤ هـ ، وكان فى بادىء الأمر يعرف باسم العود الشبوط ، حيث كان صندوقه يتألف من أضلاع رقيقة تجعل على هيئة سمكة الشبوط ، عريض الوسط دقيق الطرفين ، ثم تدرج إلى حالته التى يعرف بها الآن ، وأوتاره المشهورة أربعة هى : البم ، وهو أثقلها نغمة ، ثم الزير ، وهو أعلاها طبقة .

(٢) « ميزان رومى » : يريد الميزان الصغير ، ذا الزنبرك ، له ذراع مقسم إلى درجات ، وبأسفله صندوق صغير داخله ثقل يتصل بالزنبرك وينتهى بخطاف صغير يخرج من تحت الصندوق ، فيبدو بهذا الشكل قريبا من البربط أو الطنبور الصغير .

ورُوِيَ عن ابنِ إبراهيمَ بنِ سـعدٍ ، صاحب المغازِى ، أنه قال :

إن فِكرتِى لتطول فى أهل العِراق وتحرِيمِهم الغِناء وتحلِيلِهم المسكِر، لقد شَهِدتنى فى مسجدٍ من مساجد الأنصارِ مع أبى ، وتذاكروا الغناء فقالوا ، وهم زهاء عشرةٍ :

[١١] اذهبوا بنـا إلى جارية الأَوسىّ (١) ، فقاموا وقمتُ معهم ، حتى دخلنا مـنزل مولى الجاريةِ ، فرحّب بهم وقال : ما بى حاجة أن اسأل عن مجيئكم فيما هو ، ثم دخل بعض منازِلِه هنيئةً ، فإذا جارِيتُه ، التى قصدنا لهـا ، قد خرجت معها عودُها ، فسلّمت وقعدت ، فأوّلِ ما سمعتُ من الغِناء لفِى ذلك اليوم ، فتغنّت :

[١٢] أَلمّـا تسأل المنـزِ * ل والرّبعَ الذى أقوىٰ

عفّتْـهُ الرِيحُ والقَطْرُ * فأمسى دارِسَ المَغْنىٰ

قال : فلم يبقَ شـيخٌ إلّا قام ، وفى كُواءِ البيتِ دفوفٌ مربّعة ، فأخذوها ، وأخذ بعضُهم طبـلاً فعلّقه فى عُنقه ، فارتجّت الدّارُ وما حولَهـا ، ودخل مشايخُ الحىّ علينا ، فكُنّا فى شىءٍ لو حضَرهُ أيُّوبُ وابنُ عَوْنٍ لكَفّا وقَصّرا عن تحرِيمِه ،

(١) « جارية الأوسى » : وتسمى « الأوسـية » ، نسبة إلى الأوس ، قبيـلة كانت تسكن المدينة مع الخزرج ، وهم الأنصار .

وهى من جوارى الحجاز القدامى ، لهـا صوت فى شعر زهـير بن أبى سلمى يمـدح به هرم ابن سنان ، ذكره أبو الفرج الأصفهانى ، فى كتابه (الأغانى) :

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هرِمٍ * خيرِ الكهُولِ وسيدِ الحَضَرِ

لو كنتَ من شىءٍ سوىٰ بشَرٍ * كنتَ المُنوِّرَ ليـلة البَـدْرِ

ولحنه ثقيل أوّل بالبنصر ، من رواية حبش — انظر (الأغانى) ج ١٠ / ٢٨٨ أخبار زهير ابن أبى سلمى .

فأما الشعر الذى ذكره المؤلف هنا ، فقد يبدو أن لحنه فى إيقاع خفيف الثقيل الأول .

[١٣] فلما ثوّب المُنادِى بالصلاةِ نهضوا إلى مجالسِهم ، ما علمتُ أنّ أحدًا منهم تحوّب[١] ممـا كان فيه ، وما فى القوم إلا شريفٌ أو فقيهٌ أو مرغوبٌ ، أو مرهوبٌ منه .

وكان إبراهيم بن سعدٍ يضرب بالعود ويغنّى .

وحدّثنـا يعقوبُ بن إسحاق هـذا قال : حدّثنـا داودُ بن رشـيدٍ والحسَنُ ابن شبيبٍ قالا : أخبرنا اسماعيلُ بن عيّاشٍ قال : حدّثنا عبد العزيز بن عبدِ الله ،

[١٤] عن محمـدّ بن عمْرو ، عن عطاءِ بنِ أبى سلْمةَ بنِ عبـد الرحمن بنِ عوفٍ ، قال : لقد ضُرِب بالدّف وغُنِّى على عهد عبد الرحمن بن عَوْفٍ ليلةَ أُملِك[٢] .

حدّثنا يعقوب هـذا قال : حدّثنا القعنبىُّ قال : حدّثنـا خالدُ بن إلياسَ عن القاسِم بن محمّدٍ ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت :

[١٥] قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أظهِروا النّكاح ، وكان النبىُّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، يحبّ أن يُضرَب عليه بالدّف .

وإنمـا أردتُ ذِكْرَ الملاهى ، فأمّا الغناءُ فإنّ الرُّخَص فيه كثيرة ، لو أردتُ ذِكْرَها لطال الكتاب ، وإنّما غرضِى فيه ذِكْرُ الملاهِى فقط ، وأنا ذاكِرٌ من ذلك ما أرجو أن يكون فيه مَقْنعٌ إن شاءَ الله :

ذكر هِشامُ بنُ الكلبىّ أنّ أوّلَ من عمِل العُودَ فضرب به رجلٌ من بنِى قابيل ،

[١٦] ويقال : قابِين بن آدم ، يقـال له : لامِك[٣] ، وكان عمِّرَ زمانًا طويلاً ، ولم يكن يُولَد له ، فتزوج خمسين امرأةً وتسرّى بمائتى سُرِّيةٍ ، فولدت له جارِيتان ، يقال

(١) « تحوّب » : تأثم من فعله .

(٢) « ليلة أملك » : أى ليلة زواجه .

(٣) « لامك » : هو لامك بن متوشائيل ، من نسل قابين بن آدم ، كما فى رواية التوراة .

لإحداهما : صِلاء ، وللأخرى : يَمّ (١) ، ثم وُلِد له غُلامٌ قبل أن يموت بعَشْر سنين ، فاشتد فَرحُه ، فلما أتت على الغلام خمسُ سِنينَ مات ، فجزِع عليه جزعًا شديدًا ، فأخذه فعلّقه على شجرةٍ ، فقال : لا تذهب صورتُه عن عينيّ حتى يتقطّع أشلاءً [١٧] أو أموت ، فجعل لحمُه يقع عن عِظامه حتى بقِيت الفخذُ بالسّاق والقدمِ والأصابع ، فأخذ عودًا فشَقّهُ ورقّقه وجعل يؤلّف بعضَه على بعض ، فجعل صدرَه على صورة الفخِذ ، والعُنقَ على صورة السّاقِ ، والإبريقَ (٢) على قدر القَدَم ، والملاوِيَ كالأصابع ، وعلّق عليه أوتارًا كالعروق ، ثم جعل يضربُ به ويبكي وينوح حتى [١٨] عمِيَ ، فكان أوّلَ مَن ناح ، وسُمّي الذي اتخذ : عُودًا ، لأنه اتُّخذ من عود .

وكانت صِلاءُ ، إحدى ابنتيه (٣) ، أوّلَ من عمِل المعازِف والطُّبول .

قال : وأما الطنابير (٤) ، فأول من عمِلها قومُ لوطٍ ، كان إذا أعجبَهم الغُلامُ الأمردُ استمالُوه بذلك يضربون له بالطُّنبور . [١٩]

---

(١) وفي التوراة : « ... واتخذ لامك لنفسه امرأتين ، إسم الواحدة : عادة واسم الأخرى : صلة ، فولدت عادة يابال ، الذي كان أبا لساكني الخيام ورعاة المواشي ، واسم أخيه : يوبال ، الذي كان أبا لكل ضارب بالكنارة والمزمار ، وصلة أيضا ولدت توبال قايين ، الضارب كل آلة من نحاس وحديد ... ... » – انظر : سفر التكوين ، ص / ٥ .

(٢) في الأصل : « والإبزيم ... » ، وهو تحريف .
والإبريق ، في آلة العود ، بيت الملوى ، فيما يعرف اصطلاحا باسم : « بنجك » – انظر : « مفاتيح العلوم للخوارزمي » .

(٣) كذا بالأصل ، وربما الأرجح أن يقال : « إحدى جاريتيه ... »

(٤) « الطنابير » : جمع (طنبور) ، وهو أقدم من العود ، والأصل في التسمية معرب عن الفارسية : « دم بره » ، ومعناها : إلية الحمل ، سمي كذلك لقرب شكل صندوقه المصوت بها ، وله ساعد طويل ، يرتب عليه عدة دساتين إلى قريب من نهايته ، تحد أماكن النغم ، وذلك لأن الأصل في تسويته أن يجعل له وتران فقط ، أثقلهما نغمة يسمى : (البم) وأحدّهما يقال له : (الزير) ، ويسوى الوتران إما بقوة الكل وإما بأحد الأبعاد الوسطى أو الصغار ، وتؤخذ منه النغم بتمرير الأصابع على الدساتين ، مسحوبة على الاتصال بينها ، فتسمع منه النغم رخيمة مدوّية .

وأما المزاميرُ ، وكلُّ ما يُنفخ به ، فإنّما عملته بنو إسرائيل ، على حَلْق(١) داودَ ، عليه السلام ، إلّا القَصَبة التى يُصفَر فيها ، فإنّ الأكرادَ أولُ من اتخذها ، كانوا إذا تفرّقت عنهم غنمُهم صفَروا لهـا فاجتمعت .

وأوّلُ من اتخذ الدفوف ، العربُ .

[٢٠] وأولُ من اتّخذ قَيْنةً ، رجل من العارِبةِ(٢) ، وكانت له قَيْنتان ، يقال لهما : الجَرادتان ، وهما اللّتان يُضرب بهما المَثَل فيقال : « صار حديثًا(٣) للجَرادتَيْن » ، وذلك أن عادًا ، لمّـا حبَس اللهُ عنهم المطرَ ، وكانوا ينزِلون ما بين الشّحْر وحَضْرموتَ ، فبعثوا وفدَهُم إلى مكّة يستَسْقون لهم ، فنزلوا على مُعاوِيةَ بنِ بكر ، لأنه صِهرًا لهم ، [٢١] فشُغِلُوا بشرب الخمـر وسَماع الجرادتَيْن عن الاستِسقاءِ ، فلمـا رأى ذلك معاويةُ قال شعرًا وأمر قَيْنتيه فتغنّتا به فلما سمعوه ذكروا قومهم ، فقاموا فاستَسْقَوا ، وقد ذكرتُ حديثَهم فى كتابِىَ المُسمّى بالفاخر(٤) .

---

(١) قوله : « على حلق داود ... » : يعنى على طبقات صوته فى الكمية والكيفية .

(٢) العرب العاربة : الاعراب ، سكان البادية ، واحدهم : أعرابى ، ويقال لأهـل المدن والقرى منهم ، عرب الحضر ، الواحد : عربى .

(٣) بالأصل : « صار حربيا للجرادتين ... » ، وهو تحريف ، وصحة المثـل أن يقال : (صار حديث الجرادتين) لمن اشتهر أمره حتى تغنت به النـاس ، والجرادة : الجـارية المغنية ، تشبيها باسم : جرادتى عاد .

(٤) « الفاخر » : كتاب للفضل بن سلمة ، فى أمثال العامة .

والمثـل الذى يقول : (صار حديثا للجرادتين) ، يرجع إلى أن قوم عاد ، لما غضب الله عليهم ، منعهم المطر ، فبعثوا وفدا منهم إلى مكة يستسقون فى الحرم لهم ، وكان على رأسهم قيل بن عنثر ، وجماعة منهم ، وكان أهل مكة إذ ذاك من العماليق ، وهم بنو عمليق بن سام ابن نوح ، وسيدهم معاوية بن بكر ، فلما قدم الوفد نزلوا عليه ، فأقاموا عنده شهرا ، وكان =

ولم تزل العربُ أصحابَ لهوٍ وغزلٍ وحُبٍّ للسماع ومَيْلٍ إليه ، وكانوا يُسمُّون القينة : الكرينة ، ويسمُّون العـودَ : الكِران ، والمِزهر والبَرْبَط والمُوتَّر ، وبكل هذه الأسماءِ قد جاءت أشعارُهم . [٢٢]

ومن أسمائه التى لم تأتِ فى الشعر ، وإنما سُمِّى فى الحديث : العَرْطَبة[1] .

وقال امرؤُ القَيْس :

= لمعاوية جاريتان مغنيتان يقال لها : الجرادتان ، فشغلوا عن الاستسقاء باللهو وسماع الغناء . فقال معاوية فى ذلك شعرا وأمر جاريتيه أن تغنيان لهم به ، وهو :

أَلا يا قَيْلُ ويحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ * لعَـلَّ الله يبعثُهـا غَمامَا

ليسقِيَ آل عَادٍ إنَّ عادًا * قد امْسَوا لا يُبِينُون الكلامَا

وأنـتم ها هُنـا فيما اشتهيتُم * نهـارَكُم وليـلكُمُ التِمـامَا

فقُبِّح وفدُكُم من وفـد قومٍ * ولا لُقُّـوا التحيةَ والسَّلامَا

فلما سمعوا الغناء فى هذا الشعر خجلوا وقاموا فاستسقوا لقومهم ، فبعث الله لهـم سحابة أمطر أرض عاد .

— انظر (الفاخر) فى المثل رقم ١٤٥ (صار حديث الجاريتين) .

(١) « العرطبة » : اسم آلة من آلات اللهو فى الغناء ، جاء ذكرها فى الحديث ، الذى يقول : « إن الله يغفر لكل مذنب إلا صاحب عرطبة أو كوبة » ؛ وقد اختلف الأمر فى تعريفها وفى اللسان : العرطبة طبل الحبشة ، والعرطبة اسم العود ، عود الملاهى ، وقيل : العرطبة الطنبور .

والأشبه أن العرطبة من آلات الإيقاع ، وهى ضرب من الطبول المخصرة الوسط ، التى كان يتملق بها الغلمان والمخنثون قديما ، وقد جاء ذكرها فى (الأغانى ج ١٥ / ٦٦ — طبع دار الكتب — أخبار سلامة الزرقاء ، قال :

وكان ابن جميل يتعشق الزرقاء الزرادة حتى شهر بها ، فقيل فيه :

وابنُ جميلٍ فاعلموا عاجلاً * لا بُدَّ موقوفٌ على مِسْطَبة

يُوقَف فى زرقاءَ مشهورةٍ * تُجيد ضربَ العود والعَرْطَبة

فإن أُمسِ مَكْروباً فيارُبَّ قَيْنةٍ * مُنَعَّمةٍ أعمَلْتُها بِكِرانِ (١)

لها مِزْهَرٌ (٢) يعلو الخميسَ بصوتِهِ * أجَشُّ إذا ما حرَّكتهُ يَدانِ [٢٣]

ــ الخميس، هاهنا : الجيش، والخميسُ أيضاً اسمُ صَنَم، والخميسَ أيضاً ضربٌ من الثياب، فى الحديث : « ائتُونى بخَمِيسٍ أو لَبِيس ».

وقال لبيدُ بن ربيعة :

أُغلِي السِّباءَ بكلّ أدكَنَ عاتِقٍ (٣) * أو جَوْنةٍ قُدِحتْ وفُضَّ خِتامُها

بِصَبوحِ صافيةٍ وجَذْبِ كرينةٍ * بمُوتَّرٍ تأتالهُ إبهامُها

ــ تأتاله : تفتعله، من أُلتُ الشيءَ، أصلحتُه، والسِّباءُ : شراء الخمر، يقال : سبأت الخمر، اشتريتُها، وأدكَن : يعنى دَنّاً، والجَوْنةُ : الخابية، والجَوْنُ : الأبيض، والجَوْنُ : الأسود، وقُدِحت : فُضَّ عنها طينُها. [٢٤]

ــ وقوله : تأتاله، تَسوسُه وتقوم عليه، والإيالةُ : حُسن القيام على المال.

وقال أعشى بنى قيس، وهو جاهلىّ :

جالِسٌ حولَه النَّدامَى فما يَنْـ * ـفكُّ يُؤتَى بِمِزْهرٍ مجْدوفِ

ــ مجدوفٍ : أى مضروبٍ به، ويروى « ... بموكَرٍ ... »، زقّ، فهو مقطوعُ الأكارع. [٢٥]

(١) « الكران »، وقد ينطق بالتشديد، : لغة فى الكنار والكنارة، من جنس المعازف ذوات الأوتار المطلقة التى تحاط من جوانبها الأربعة على استعراض، وتستخرج منها النغم بغمز أوتارها بالأصابع، والكرينة : الضاربة على الكران، ويبدو أن الكران لفظ معرب عن الكنارة، ثم خفف.

(٢) « المزهر : هو الدف أو نحو منه وهو من آلات الايقاع، وربما أطلقه العرب على بعض ذوات الأوتار التى تغطى صناديقها بوجه من الجلد، كما فى الرباب وبعض الطنابير القديمة، غير أن الأصل فى المزهر هو الدف، وتلك تسمية محدثة فيه.

(٣) « أدكن عاتق » : يعنى الخمر المعتقة فى الدنان.

وقال أيضا :

وَبِرْبِطُنا دائم مُعمَلٌ * فأىُّ أُولئكَ أزرَى بها

— أى أولئك : يعنى أصناف الملاهى ، لأنه ذكرها .

ويقال لأوتاره : المحابض(١)، واحدها : مِحبَض ، وهى ، وهى الشِّرَع ، واحدتها : شِرْعة ، فمنها :

الزير(٢) .

والذى يليه : المَثْنَى ، ومنهم من يُسمّيه : الثانى .

[٢٦] والمَثلث ، ومنهم من يُسمّيه : الثالث .

والبم(٣) .

ويُقال للتى يُسميها الفُرْسُ الدساتين(٤) : العتَب .

وكل ذلك قد جاء فى الشعر ، قال تميمُ بن أُبَىّ بنِ مقبل :

صدحتْ لنا جَيداءُ(٥) يرُكُض ساقُها * عند التِّجارِ مجامِعَ الخَلخالِ

(١) « المحابض » : الأوتار التى تجذب أو يضرب عليها ، وهى أخص بالندافات وأوتار أقواس السهام ، ويبدو أن استعمالها فى الآلات ذوات الأوتار التى يصاحب الغناء ضعيف .

(٢) « الزير » : لفظ فارسى ، بمعنى الأسفل فى الترتيب ، ويطلق اصطلاحا على الوتر الرابع الحادّ الطبقة فى آلة العود العربى القديم .

(٣) « البم » محرف عن (بام) بالفارسية ، ومعناه الأعلى والأول فى الترتيب ، ويسمى به أول أوتار العود وأغلظها طبقة ، سجاحا بالقوة لنغمة الزير فى التسوية المشهورة .
والبم والزير هما الأصل فى وترى الطنبور ، فلما ظهر العود الرباعى الأوتار جعل وترا المثنى والمثلث بين الزير والبم زائدين فيه .

(٤) « الدساتين » : واحدها دستان ، عن الفارسية ، وهى العلامات التى تستعرض ساعد الطنبور أو العود ، يحدّ بها مواضع النغم فى كل منها ، والعرب يسمونها : العتب .

(٥) « جيداء » : يعنى حسنة الجيد ، أى العنق .

فُضُلَى(١) تنازِعُها المحابِضُ رَجْعَها * بأحَذّ لا صَحْلٍ ولا مِصْحالِ

ـــ صدحت : غنّت ، والصّدحُ رفعُ الصوت ، ويُروَى : « ... لا قَطِعٍ ولا مِصحالِ » ، وتركُض : تدفع ، ومجامعُ الخَلْخال : أى موضع مجامع الخلخال ، [٢٧]
يعنى : ذيلَها ، والتجارُ : الخمارون هاهنا .

ـــ وقوله : فُضُلَى(٢) ، أى فى ثوب بِذْلة ، والأحَذّ : الخفيف ، يعنى عُوداً(٣) ، والصَّحْل والمِصحال : الذى ليس بصافِى الصوت ، والصَّحَل : البحُوحة فى الصوت .

وقال ابن هَرْمة :

كما أزدهرَتْ قَيْنةٌ بالشّراعِ * لإسوارِها(٤) عُلّ منها آصطِباحا [٢٨]

---

(١) بالأصل : « فضلا يتازعها ... ... » وهو تحريف والمراد : « فضلى » ، يعنى الراقصة ذات الثوب الواحد الرقيق تتوشح به فتخالف بين طرفيه على عاتقيها عند الرقص على نغم الأوتار .

(٢) بالأصل : « وقوله فضل ... ... » ، وهو تحريف .

(٣) قول المؤلف هنا : ان الأحذ هو الخفيف و يعنى به العود غير صحيح تماما ، لأن الأحذ يعنى النغم الحادة العالية الطبقة ، والقول عائد على المحابض التى يعنى بها الأوتار التى تغمز بالأصابع ، كما فى المعازف .

والشعر فى موضع آخر :

فُضُلَى تنازِعُها المحابِضُ رَجْعَها * حَذّاءَ لا قَطِعٍ ولا مِصْحالِ

ـــ انظر : لسان العرب ، مادة (فضل) .

(٤) « الإسوار » : السيد والفارس .

وقال الأعشى :

وثَنَى الكفَّ على ذِى عتَبٍ * صَحِلِ الصوتِ(١) بذِى زِيرٍ أبَحّ(٢)

وقال الصّقعبُ بن حيّان التغلبيّ :

وقرّبَ الخُرَّدَ من قِيانِه * عوداً له الفَضْلُ على عِيدانِه

أَخَفَّ عند الحَمْلِ واحتِضانِه * من رِيشةٍ تُوضَع فى ميزانِه

أخرَسَ تلقاهُ على بَيانِه * [يُقسِم باللهِ على إحسانِه](٣)

قوَّمَهُ رَوْحٌ(٤) على ضِمانِه(٥) * للقصد بعد الزّيغ واعتِفانِه

كَرَامةُ المجالِسِ فى هَوانِه

(١) فى الأصل : « يصل الصوت بذى ... ... » والصحيح ما أثبتناه فى المتن ، والصحل : الصوت الذى فيه ثقل وغلظ ، ويعنى به نغمة مطلق البم .

(٢) قوله : « بذى زير أبح » يعنى العود الرباعى الأوتار ، الذى تكون فيه نغمة وترالبم سجاحا بالقوة لنغمة الزير ، فسماه هنا بالزير الأبح ، أى ذى البحة .

(٣) هذا الشطر من البيت غير وارد فى الأصل ، نقلناه من مخطوطة كتاب (الإمتاع فى أحكام السماع) ، للادفوى ، ليستقيم المعنى .

(٤) « روح » : قال عنه المؤلف إنه اسم المغنى ، ونحن لم نجد فى المغنين القدامى من هو كذلك ، والأشبه أنه يدعى : « رواح أو رواحة » لأن المؤلف جعل اسم العود منصوبا فى الأصل ، ولسنا منه على ثقة .

(٥) بالأصل : « ... على ضغانه » . ثم فسر المؤلف ذلك بقوله : « الضغان ، أن يكون فى النفس شىء « فلا ينقال لما يراد منه » .

والمعنى أن الضغان هو الحقد ، أو الضغينة ، والجمع أضغان وضغائن ، وليس فى ذلك معنى لسياق القول ، والأصح أن يقال :

* قوَّمَهُ رَوْحٌ على ضَمانِه *

أى أن يكون المغنى كفيلا بضبط نغم أوتار العود فلا تخرج عن الطبقات المعدة لها فى اللحن ، وذلك ما أثبتناه فى المتن .

— رَوْحٌ : اسمُ المغنّى ، الضّمانُ(١) : أنْ يكون كفيلاً به فلا يخرج عن صحيح [٢٩]
النغم — الزّيغ : المَيْل ، والاعتِنان : أن لا يستقيم على وجهٍ واحدٍ .

فردّد الكفَّ على جِفانهِ(٢) * تردُّدَ الهِربِذِ(٣) فى بُستانهِ
وشرّف الخنصرَ من بَنانِه(٤) * تَشرُّفَ اللّصِ على جيرانهِ
واعتَمد الزّيرُ على إرنانِه(٥) * وحافظ الثانى(٦) على رِهانهِ

---

(١) فى الأصل : « الضغان أن يكون فى النفس شىء فلا ينقال لما يراد به » ، وهذا تفسير المؤلف لمعنى الضغينة والحقد ، وهو يخرج عن موضوع الشعر . وقد جعلنا فى المتن بدلا فى ذلك تفسير معنى (الضمان) ، فى قوله :

* قوّمهُ رَوْحٌ على ضَمانهِ *

وفى هذا الشعر وشرحه تقديم وتأخير ، وقد حاولنا ترتيبه واستيفاءه .

(٢) فى الأصل : « على جنانه ... ... » ، ويبدو أنه تحريف ، لم نجد له معنى فى مزاولة العود ، والأشبه أنه يريد أن يقول :

* فردّد الكفَّ على جِفانهِ *

وجفان العود : صدره ووجهه المغطى به من الخشب ، ثم عيناه المثقوبتان فيه ، والمعنى أن الكف يحرك بالضرب على الأوتار المعلقة على وجه العود ، ذهابا وجيئة على اختيال .

(٣) « الهربذ » : واحد الهرابذة وهم المجوس عبدة النار ، ولهم فى ذلك مشية يختالون فيها يقال لها « الهربذى » وصف بها الشاعر هنا تردد يد الضارب على أوتار العود .

(٤) « وشرف الخنصر ... ... » : بمعنى أطل الاصبع الخنصر فابتعد عن موضعه كأنه يشرف على بقية الأصابع المتحركة على الدساتين .

(٥) « إرنانه » : نغماته الحادة الرنانة ، لأنه أعلى الأوتار طبقة .

(٦) « الثانى » : يريد وتر « المثنى » ، بين الزير والمثلث ، والمراد أنه حافظ على طبقاته المتوسطة الحدة والثقل ليحوز بها الاعجاب ، كأنه فرس رهان .

[٣٠] وجَمَح الثالثُ[1] فى مَيْدانه * وبربرَ البمُّ[2] على أقرانه

بَرْبرةَ الشَّيخ على صِبْيانه

— البَرْبرةُ : صوتٌ فيه غِلَظٌ وسُرْعة .

هناك زالَ الهمُّ عن أخدانه * حتى ترى النَّشوانَ فى قُمصانه

يزحفُ قد ألقَى بَطيْلسانه[3] * تزحُّفَ الشاهِ على فِرْزانه[4]

وقال أبو الهندىّ :

إذا سَوّتِ الزِّيرَيْنِ[5] والمَثْلَثَ الذى * على دونِ بيتِ البمِّ والبَمُّ يضرِبُ

[٣١] رأيتَ يُمناها على البمِّ صُرعةً * وتحسبَ يُسراها على العَتْبِ تحسُبُ

ومِزمارُ أُخرَى حين يُنفَخ يعتلِى * جَوابًا لقَرْعِ العودِ والعودُ يَصْخَبُ

— أراد العتَبَ ، نخففَ[6] .

---

(١) قوله : «وجمح الثالث ...» : يعنى ونشط المثلث فأظهر النغم ، يريد أن يسبق بها فى الميدان .

(٢) «وبربر البم ... ...» : أى ، وزجر البم الأوتار بصوته الثقيل الأجش .

(٣) «الطيلسان» : ضرب من الأكسية الحريرية واللباس : أعجمى معرب ، أصله : (تالسان) .

(٤) «الفرزان» : من لعب الشطرنج ، والشاه : ملك هذه اللعبة .

(٥) قوله : «إذا سوت الزيرين ... ...» : يعنى ، إذا جعلت نغمة مطلق الزير الحاد صياحا بالقوة لنغمة مطلق وتر البم ، وهو الأثقل طبقة ، وهذه تسوية مشهورة لأوتار العود .

(٦) قوله : «نخفف ... ...» ، أى خفف الحركة بالسكون فى الشعر ، فى النطق بلفظ : (العتب) .

ومن الملاهى : الطنبور ، وهو الدِرِّيج والونّ[(1)] .

وقال ذو الرُّمّة :

يُضحِى بها الأرقشُ الجَوْنُ القَرَا غرِدًا * كأنّه زجِلُ الأوتارِ مَخْطُومُ

من الطنابيرِ يُزهِى صوتَه ثمِلٌ * فى لحنِه عن لُغاتِ العُربِ تعجِيمُ

— القَرَا : الظَّهر ، ويزهِى : يرفع ، والأرقش : السَّفَط ، يعنِى الجُنْدب[(2)] يُصوّت فى الحرّ ، وزجِلٌ : شديد . [٣٢]

وقال آخر :

ودِرِّيجُنا دائبٌ مُعمِلٌ * يُجاوِبه الدفُّ والمِزْهَرُ[(3)]

(١) قول المؤلف : « الطنبور ، وهو الدريج والونّ » ، غير صحيح ، وذلك لأن الطنبور من جنس العود وإنما يتميز بطول الساعد ، وكلاهما من ذوات الأوتار التى تقسم بالأصابع ، فأما الدريج والون ، فكلاهما تسمية قديمة لصنفين من جنس المعازف ذوات الأوتار المطلقة ، التى يجعل فيها لكل وتر نغمة بذاتها تختلف عما يليها ، أو ما يتقدمها من ترتيب الأوتار .

ومن هذين ، فالدريج أقرب شبها بما يعرف الآن باسم : السنطير القديم ، من جنس القانون ، أو هو ضرب منه ، وأوتاره مطلقة مصنوعة من المعدن ، وهو المسمى : (دلسيمر Dulcimer) ، فأما الونّ فهو الونج ، أعجمى ، وهو من أصناف الصنج الوترى المسمى : (هارب Harp) ، قال الأعشى :

با لجُلّسانِ وطيبٍ أردانُه * بالوَنِّ يضرِبُ لِى يكُرُّ الإصبَعا

— الجلسان : فارسية معربة ، بمعنى : بستان الورد .

(٢) « الجندب » : ضرب من الجراد الصغير المصوّت الصرصار .

(٣) « المزهر » : يعنى به هنا ، الطنبور القديم ذى الوجه من الجلد ، فأما الأصل فى التسمية فهو الدف أو البندير ، ذو الفتل المستعرضة فيه .

وقال الأعشى :

وَمُشْتَقٌ صِينِيٌّ[(١)] وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ[(٢)] * يُجَاوِبُه صَنْجٌ[(٣)] إذا ما تَرَنَّما

وقال الرّاعى :

وطنبورٌ أجشُّ وريحُ ضِغْثٍ * من الرَّيحانِ يَتْبَعُ الشؤونا

[٣٣]

— الضغث : القِطع من الرّيحان، والشؤون : أصول شُعَب الرأس، واحدُها : شأن ، ويقال : إنها مجارى الدّمع ، فأراد رائحةَ الرّيحان ، يبلغ هناك من حِدّته وطيبه .

ومن الملاهى :

---

(١) « مشتق صينى » : كذا بالأصل ، وقد جعلها المؤلف هنا لصنف من آلات الغناء ، وقال : إنها محرفة عن « مشته » بالفارسية ، ومعناها : أن يؤخذ باليدين .

وإذ هو كذلك فالتعريف الأصح أنها تعنى : الرباب الصينى ، لأن لفظ « مشته » يعنى الرباب ، فيكون أول الشعر : « ومُشتِه صينيٌّ ... » .

وقد تكون التسمية محرفة عن آلة قديمة من جنس المزامير كانوا يسمونها بالفارسية : « بيشه مشته » ، من جنس « الأرغن المزمارى » .

ولفظ ، « مشته » هنا غير تلك التى عربت إلى « مشتق » ، من الأصل : « مشتى » ، وهو صنف من اللباس يؤخذ من الحرير أو الكتان .

(٢) بالأصل : « ومزهر » — موضوعة فوق كلمة : « وبربط » — يريد أنه يجوز قول الشعر بإحداهما .

(٣) « الصنج » : لفظ معرب عن الفارسية ، يعنى به هنا : صنج الإيقاع ، وهو دائرتان من الصفر مقعرتان من الوسط ، يضرب بإحداهما الأخرى ، غير أنه متى قيل : الصنج ذو الأوتار ، فهو يريد به « الجنك » ذا الأوتار المعدنية الصلبة .

المِزمار(١) ، والمِزْمر والزمّارة ، والنّاى(٢) ، والكِران ، والقُصّاب(٣) ، والمِشْتَق ، ويقال له أيضا : مشتق صِينىّ(٤) ، وهو فارِسى معرّب ، يقال له : مُشْتَه صِينىّ ، أى يُؤخَذ باليدَيْن . [٣٤]

واليَراع(٥) : المزمار المعمول من قصبٍ ، [ويقال(٦)] له : الزّنْبَق(٧) ، والهَنْبقة .

وقال أبو البَيْداء :

إسقِنِي يا زُبَيْرِ بالقَرقارَهْ(٨) * قد طَرِبْنا وحنّتِ الزمّارَهْ

وقال أبو التيّحان :

هـل إلى سكْرةٍ بسافِلة الكُو * فـةِ شنعاءَ يا قَبِيصُ سبِيلُ

---

(١) « المزمار » : معروف ، يجعل من قصبة جوفاء مثقبة ، وفيه أنواع كثيرة ، فمنها ، المزاوج والسرناى والموصــول ، وغيرها ، ومن المزامير المفردة ما يسميه المتصوفة والدراويش : الناى ، فأما « الزمارة » فهى أبسط أنواعه .

(٢) « الناى » : لفظ عن الفارسية ، بمعنى ، قصبة الغاب ، والأصل فيه قصبة واحدة مثقبة ، أقرب إلى هيئــة المزمار المفرد فى أول أمرها ، ثم تطورت أخيرا إلى الأنبــوبة من الغاب المفتوحة الطرفين ، كما تعرف فى زماننا .

(٣) « القصاب » — (بالضم) : جمع قصابة ، وهى المزمار المثقب .

(٤) والمراد هنا باسم : « مشتق صينى » : صنف قديم من جنس الأرغن المزمارى .

(٥) « اليراع » : هو المزمار الصغير الحاد الطبقة ، أو هو مزمار الراعى ، من قصب الغاب .

(٦) زيادة يستقيم بها القول .

(٧) « الزنبق » ، وكذا : « الهنبقة ، والهنبوق » ، من أسماء المزامير والزمارات ، عند الشعراء ، على التشبيه بمجارى الهواء فى الحيــوان ، وليست تلك تسميات مشهورة فى آلات النفخ الصناعية .

(٨) « القرقارة » ، والقرقار : يعنى به إناء الخمر ، له هدير اذا صب منه فى الكاس .

[٢٥] وأبو التيَّحانِ فى كفِّه القَرْ * عَةُ(١) والرأسُ فوقَهُ إكليلُ
وكِرانٌ كأنه بَيْذَقُ(٢) الشَّطْ * رَنْج يفتَنُّ فيه قالٌ وقِيلُ

— يفتن : يأخذ فى فنونٍ منه ، وهو الضروب .

وقال الأعشى :

وشاهِدنا الجُلُّ(٣) والياسَمِيـ * ـنُ والمُسمِعاتُ بقُصَّابِها(٤)

— الجُلّ : الورد، وهو فارسي معرّب، أخذه الأعشى من الفُرس ، لأنه ذهب إلى كسرى .

[٢٦] وقال والِبةُ بن الحُباب :

ويراعٌ وصوتُ دفٍّ * ونايٌ(٥) ومِزْهَرُ
ومُغَنٍّ والدُّرُّ مِن * فِيهِ للشَّرْبِ يُنثَرُ

---

(١) « القرعة » : من الات النقر والايقاع ، تشبه قرعة مغطاة بوجه من الجلد ، وهى قريب مما يعرف الان فى مصر والشام باسم : (دربكه) .

(٢) فى الأصل : « وهران كانه ... » وفى كتاب (الأغانى) : « وعرار كأنه ... » ويبدو أن كليهما تحريف .

و « بيذق الشطرنج » : أحد قوائم اللعبة ، فيما يسمى : « العسكرى » .

وفى هذا الشعر صوت من الرمل بالوسطى لمحمد بن الاشعث — (الأغانى ج ٢٠ / ٥٢)

(٣) « الجل » : الورد ، أعجمى معرب .

(٤) « القصاب » : يعنى بها هنا : المزامير ، جمع قصابه ، — وقال الأصمعى : « أراد الأعشى بالقصاب : الأوتار التى سويت من الأمعاء » — يعنى « ذوات الأوتار » ونرى أن المزامير ربما كانت أقرب إلى المعنى .

(٥) « الناى » : لفظ أعجمى ، يعنى المزمار المفرد ، فى تعريف القدماء ، والأشبه أنه المزمار العراقى ، فأما الناى فى زماننا فهو القصبة المفتوحة من طرفيها ، وهو أحدث فى الوجود ، والأصل فيه ناى الدراويش المسمى (الشاه) .

وقال آخرُ يصف نايًا :

وإن حرّكته الريحُ أسبَلَ صوتَه * وحنَّ كما حنَّ اليراعُ المُثقَّبُ

وقال المَعلُوط القُرَيعىّ .

وحنّت بقاعِ الشامِ حتى كأنّما * لأصواتِها فى منزِلِ القومِ زَنْبقُ

[٣٧] وقال الأحوص :

يَرُدُّ أنابيبَ الحَنينِ جِرانُها (١) * كما ارتجَّ رَجْسٌ فى زَنابِقِ زَمْجَرِ (٢)

— والزَّمْجر : الأجوَف ، يريد القصَبَ الذى يُزمَر به .

وقال :

ورجّع فى حَيْزومِهِ غيرَ ناغِمٍ * رُغاءً من الأحشاءِ جُوفًا هنابِقُهْ (٣)

— لم ينغَمْ للهدِير وإنّما نغمَ للضّجَرِ .

ومن الملاهى : الطَّبلُ (٤) ، وهو الكَبَر والكُوبة (٥) ، ومنه حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عمر ، [٣٨] قال : نهى رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، عن الخمرِ والمَيْسِر ، والكُوبةِ ،

---

(١) « جرانها » : يعنى أعناق الإبل .

(٢) « الزمجر » : الزمجرة ، صوت فيه شدة وغلظ .

(٣) أراد الشاعر : « هنابيقه » ثم خفف لوزن الشعر .

(٤) « الطبل » : معروف ، وهو اسطوانى الشكل يضرب على وجهيه بزخمتين . والكبير منه هو المراد باسم : (الكبر) .

(٥) « الكوبة » : صنف من الطبول القديمة مخصر الوسط ومتسع الطرفين ، كأنه قرعتان ملتصقتان ، قال الإدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ :

« ... ولست أرى ما يقتضى تحريمه ، إلا أن المخنثين يعتادون ، الضرب عليه ولهم به ولع شديد » .

والغُبَيراءِ وكلّ مُسكِرٍ، ويقال للنَّرْد، بلغة أهل اليمن : الكُوبَة، والغُبَيراء(١) شرابٌ يُعمَل من الذرة، وهي السُّكُرْكَة، بلغةِ الحبَشة .

وقال الشاعر :

[٣٩] فإذا حنَّتِ المزاميرُ والمِـزْ * هَرُ تَسْمو بصـوتِهِ الأوتارُ
وتغـنّى الشادِي المُغرِّدُ لمّـا * جاوبَتْهـا الدُّفوفُ والأكبارُ
أمطرَتْنا الأقداحُ شجَّ سرورٍ * ونأَتْنـا الهمـومُ والأفـكارُ

ـــ الشادي : المغنّي، والشَّدْو : الغِناء، والشَّدْو، في غير هذا، الابتداء بالأخذ من الشيء .

ـــ ويقـال : هـو الدُّفّ(٢)، والدَّف والكَنّارة، ويقـال : الكِنّـارة من أسمـاءِ العُود .

وقال عَمْرو بن الإطنابة :

[٤٠] عـلِّلانِي وعـلِّلا صاحِبيّـا * واسقِيانِي من المُرَوَّقِ(٣) رِيّا
ما أُبالِي إذا اصطبَحْتُ ثلاثًا * أرشِـيدًا دعوتَنِي أم غَوِيّا(٤)
إنّ فِينا القِيانَ يعـزِفْنَ بالدُّفـ * ـفِ لِفتيانِنا وعَيْشًا رَخِيّـا

(١) « الغبيراء » : السكركة، عند أهل السودان والحبش، وهي ضرب من الخمر يصنع عادة من الذرة، ويعرف في مصر باسم : « البوظة » اصطلاحا .

(٢) والقول هنا في « الدف » عائد إلى الأول، وهو الطبل والكوبة .

(٣) « المروق » : الخمر المصفى .

(٤) هـذا البيت من شعر الحارث بن ظالم المري، وله مع عمرو بن الإطنابة الخزرجي مساجلة شعرية على هذا الروي والقافية .

ـــ انظر : (الأغاني) ج ١١ / ١٢١ طبع دار الكتب، خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة .

وأما المِعزفة فلم تكثُر عند العرب ، وإنما يعزف بها أهل اليمن ، من مُلوك صَنعاء والجَنَدِ ونَجْرانَ وتَبالةَ وجُرَش ، فلذلك ليس لها إلّا آسمٌ واحد .

[٤١] وأوَّلُ من يُقال إنه بدأ بالعُود وناحَ به لامِكُ ، وأوّل من غنَّى فى العرب الجرادتان ، ثم غنَّى جذيمةُ بن سعدٍ الخُزاعىّ ، وكانَ أحسَن الناس صوتًا ، فسُمِّى : المُصْطلِق (١) ، لحُسنِ صوتِه .

وأوّلُ من غنّى من أهل اليمنِ رجلٌ من بنى حِمْير، يقال له : عبْسٌ ، فسُمّى لحُسْنِ صوته : ذاجدَنٍ (٢) .

[٤٢] وأول من حَدا مُضَر بن نِزارٍ ، وذلك أنه سقَط من بعيرٍ له فآندقت يدُه وتفرّقتْ إبلُه ، فجعل يقول : يا يداهُ يا يداهْ ، وكانْ حَلْقُه حسَنًا فاجتمعت إبلُه ، فحدَت العرَبُ على هذا المثال .

وكان الغناءُ عند العرَب على ثلاثةِ أوجُهٍ : النَّصْبُ والسِّنادُ والهزَج .

فأمّا النّصبُ : فغناءُ الرُّكبان (٣) ، وهو الذى يُقال له : المَراثى ، يُغنّيه الفِتيان .

---

(١) « المصطلق » : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو الخزاعى ، سمى بذلك لحسن صوته ، وهو أول من غنى من خزاعة .

(٢) « جدن » ، كما فى لسان العرب : ملك من ملوك حمير ، وربما كان يغنى ، بلهجة أهل اليمن ، صاحب الصوت الحسن .

(٣) فى الأصل : « ... ... وهو الذى يقال له المراثى ، يغنيه الفتيان » .

وغناء الركبان ، ويقال : الركبانى ، هو الحداء ، ويتميز بالمد فى أواخر أجزاء اللحن ، وإيقاعه على الأكثر من الثقيل الأول وخفيفه ، وما هو من الركبانى مرفوع الطبقة تتغنى به النساء عادة ، فهو المسمى النصب ، وطرائق النوح ضروب فى النصب تميل إلى الشجى .

وقيل : إن أوّل من أخرج الأنصاب على الطنبور هو أحمد بن أسامة النصبي ، ذكر ذلك أبو الفرج فى ترجمته .

[٤٣] وأما السناد[1] : فالثقيلُ ذو التّرجيع والنغَم والنّبْر .

وأما الهزَج[2] : فهو الخفيفُ الذى يُمَشّىٰ عليه ويلهِى ويستخِفُ الحُلوم[3] .

وكان غناءُ أهل اليمن يُدعى : الحنفيّ[4] .

*

* *

تمّ

[٤٤] كتابُ الملاهِى والحمد للهِ وحده وصلّى الله على محمّد نبيِّه وآلهِ الطاهرين وسلّم تسليما

---

(١) « السناد » : هو الغناء الثقيل المتقن الذى يستند إلى الآلات ، و يدخله الترجيع على الإيقاع ، و يتميز بالتصرف فيه من حيث النغم والوزن .

(٢) « الهــزج » : هو الخفيف ، ويشبه ما يعرف الآن باسم : الأهازيج ، ودور إيقاعه قريب مما نسميه « الواحدة الكبيرة » .

(٣) بالأصل : « الحلقوم » ، وهو تحريف .

(٤) بالأصــل : « ... الحبق » ، ويرجح أنه تحريف عن لفظ « الحنفى » ، كما فى (مروج الذهب للمسعودى) ، قال :

« وكان غناء أهل اليمن بالمعازف ، وإيقاعه جنس واحد ، وغناؤهم جنسان : حنفى وحميرى ، والحنفى أحسنهما » .

ملحق لكتاب

الملاهى وأسمائها من قِبل الموسيقى[1]

للمفضّل بن سلمة النحوى

مُوجَز فى اللهو والملاهى

ونبذة فى الرّقص وأنواعه

من رواية ابن خُرداذْبة المتوفّى سنة ٢٩١ هـ

عن كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبى الحسن المسعودىّ

المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

عنى بتحقيقه وشرحه

غطاس عبد الملك خشبه

مقدمة

هذا مُوجَزٌ فى (اللهو والمَلاهى) ذكره أبو القاسم عُبيد الله بن خُرداذْبةَ العالِم الجغرافىّ الأديب ، وكان من نُدماء الخليفة العباسىّ المعتمد بالله .

وابن خُرداذبة[1] فارسىّ الأصل ، كان من المَجُوس ثم أسلم وشغَل منصبَ البريد بجهة بحر قزوين ، وهو من علماء الأقاليم وجغرافية أرض المشرق ، ومن مؤلفاته كتاب : (المسالك والممالك) ، كتبه سنة ٢٧٠ هـ ، وهو أوّل كتاب يتضمّن دليلاً للطُّرق الكبرىٰ ووصفًا لها وللبلاد التى على جانبيها ، وقد عاش ما يقرب من تسعين عامًا وتوفى حوالى سنة ٢٩١ هـ ، ونادم المعتمد وذكر له قولاً فى اللهو والمَلاهى والغِناء ، فى روايةٍ له نقلها أبو الحسَن المسعودىّ فى كتابه : (مروج الذهب ومعادِن الجوهر) .

ونحن لم نشأ أن نفرِد لهذه الرواية عنه كتابًا بذاتِه : فألحَقنا ما قاله ابنُ خُرداذْبةَ ليكون تاليًا لِما جاءَ بكتاب : (المَلاهِى وأسمائها من قِبل الموسيقى) ، للمفضّل ابن سلَمة اللُّغوىّ النحوىّ ، المتوفى سنة ٢٩٠ هـ ، وملحقًا له من جنسِه ، فيكمُل بهما استيفاءُ المادّة فى ذاتِ الموضوع .

ثم أضفنا فى نهاية قولِ ابن خُرداذْبة نبذةً مجهولةَ المؤلّف عن الرّقص وأنواعِه وشمائله ، كما ذكرها (المسعودىُّ) فى كتابه ، من قِبل أنّ الرّقص المُوقّع المَوزون

---

(١) الأصل فى التسمية عن الفارسية : (خرد بِشه) بمعنى سريع الفهم عاقل ، غير أنه عرب كذلك : « ابن خرداذبة » .

إنما يكون على نَظْم الإيقاعات العربيّة فى الألحان ، وهى : الثقيلان الأوّل والثانى، ثم الرَّمَلان، ثم الهَزجُ وخفيفُه .

ونحن نأمل أن نكون قد استوْفينا فى هذه جميعًا مادّة الموضوع ، وأنّ كتابنا هذا قد أحاط بشرح جوانبها من الناحية العلمية والتاريخيّة .

المحقّق

مُوجَزٌ فى (اللّهو والملاهى) ، من رِواية ابن خُرداذْبة عن كتاب (مُروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودىّ نسخة طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ .

قال أبو الحسن المسعودىّ فى أخبار الخليفة المعتمِد بالله :

« . . . . وكان المُعتمِد مشغوفًا بالطَّرب ، والغالبُ عليه المُعاقَرةُ ومحبّةُ أنواع اللّهو والملاهى ، وذكر عبدُ الله بن خُرداذْبة : أنه دخل عليه ذات يوم ، وفى المجلس عِدّةٌ من نُدمائه ، من ذوِى العقول والمعرفة والحِجى ، فقال له :

أخبِرنى عن أوّل من اتخذ العُود ، قال ابن خُرداذبة :

قد قيل فى ذلك ، يا أمير المؤمنين ، أقاويلُ كثيرة ، أوّلُ من اتخذ اللّهو[1] لامِكُ بن متوشالَح بن محوِيل بن عادِ بن خنوخَ بنِ قايينَ بن آدم[2] .

وذلك أنه كان له ابنٌ يحبّه حُبّاً شديدًا ، فمات فعلّقه بشجرة فتقطّعتْ أوصالُه حتى بقِيَ منها فخِذُه والساقُ والقدمُ والأصابع ، فأخذ خشبًا فرقّقه وألصقه ، وجعل

---

(١) كذا فى النسخة المطبوعة سنة ١٢٨٣ هـ ، وفى بعض النسخ المحدثة : « ... ... العود » .

(٢) ورواية التوراة فى ذلك :

« ... لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم » — (سفر التكوين أصحاح / ٥) .

صدرَ العُود كالفخِذ ، وعُنقَه كالساق ، ورأسَهُ كالقَدم ، والملاوِىَ كالأصابع ، والأوتارَ كالعُروق ، ثم ضربَ به وناح عليه فنطق العُود [1] ، قال الحمدونىّ [2] :

وناطقٍ بلسانٍ لا ضميرَ له ﴿ كأنه فخِذٌ نِيطتْ إلى قَدَمِ

يُبدى ضميرَ سواهُ فى الحديثِ كما ﴿ يُبدِى ضميرَ سواهُ منطِقُ القَلَمِ

واتخذ تُوبَلُ بن لامكَ الطّبولَ والدّفوف ، وعَمِلتْ صِلاءُ بِنتُ لامِكَ المعازفَ [3] ، كما اتَّخذ قومُ لوطٍ الطنابيرَ يستميلون بها الغلمان ، ثم اتَّخذ الرعاةُ والأكرادُ نوعًا مما يُصفَر به [4] ، فكانت أغنامُهم إذا تفرّقت صفِرُوا فاجتمعَتْ .

---

(١) انظر هذه الرواية بعينها فيما تقدم من كتاب (الملاهى وأسمائها) للفضل بن سلمة النحوى ، ويبدو أنها أسطورة موضوعة كذلك فى الكتب القديمة عن أصل العود ، والصحيح أن العود ، كما نعرفه الآن ، أحدث من الطنبور ، وأول من استعمله العرب فى القرن الثانى للهجرة ، ولم يكن للعود ذكر فيما تقدّم من كلام العرب فى الجاهلية ، وقد تبين أن أول من استنبطه منصور زلزل الضارب المتوفى سنة ١٧٤ هـ ، فلما ظهر العود ذو الأضلاع والوجه من الخشب طغى اسمه على أكثر الآلات ذوات الأوتار .

(٢) « الحمدونى » : يريد به على الأرجح أحمد بن حمدون بن إسماعيل الكاتب ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ ، وكان نديما للخليفة المتوكل ، وهو من معاصرى إسحاق الموصلى .

(٣) فى الأصل : « وعملت ضلال ... » ، ورواية التوراة فى ذلك :

« ... واتخذ لامك لنفسه امرأتين ، اسم الواحدة : عادة ، واسم الأخرى : صلة ، فولدت عادة يوبال ، الذى كان أبا لسا كنى الخيام ورعاة المواشى ، واسم أخيه : توبال ، الذى كان أبا لكل ضارب بالكنارة والمزمار ، وصلة ولدت أيضا : توبال قايين ، الضارب لكل آلة من نحاس وحديد ... » – انظر سفر التكوين أصحاح / ٤ .

(٤) قوله : « مما يصفر به ... » يعنى المزمار أو صنفا منه فى نهايته انحناء إلى أعلا .

ثم اتخذ الفُرْس النايَ للعُود (١)، والدُوناىَ للطُّنبور (٢)، والسُّرناىَ للطَّبل (٣)،
والشَّنج للصَّنج (٤)

وكان غناءُ الفُرس بالعِيدان (٥) والصُّنوج، وهى لهم، ولهم النَّغمُ والإيقاعاتُ
والمقاطعُ، والطرائقُ الملوكيّة (٦) وهى سبعُ طرائق :

فأولها : « سَكَانِ (٧) »، وهو أكثرها استعمالاً .

الثانى : « نَوَبهار (٨) »، وهو أفصحُها مقاطع .

---

(١) « النـاى » : لفظ فارسى بمعنى أنبوب القاب، ويراد به صنف من المزامير المفـردة ذات المبسم، أما النـاى المفتوح الطرفين كما نعرفه الآن فهو محدث استنبطه الصوفيون والدراويش مما يلى القرن الرابع الهجرى .

(٢) بالأصل : « الديانى »، وهو تحريف، والمراد به « الدوناى » أى المزمار المزاوج .

(٣) فى الأصل : « السريانى »، وهو تحـريف، والصحيح أنه « السرناى »، وهو بعينه ما يعرف الآن باسم : المزمار التركى، أو البلدى .

(٤) بالأصل : « الصنج »، والشنج والشنك : لغة فى الجنك، أو ضرب منه، أما « السنج » بالفارسية فمعناها : ثقل الميزان : « سنجه » .

(٥) قوله : « وكان غناء الفرس بالعيـدان ... » غير صحيح، وهو يريد هنا بالعيدان أصناف الطنابير .

(٦) بالأصل : « الطروق الملوكية »، والمراد الطرائق الأصول المشهورة، وهى تشبه ما نسميه الآن : (المقامات والايقاعات)، جمع طريقة الصوت .

(٧) بالأصل : « سكاف »، وليس فى الفارسية ما هو كذلك، والأقرب إليها « سكانه »، أى المثلث النغم .

(٨) فى الأصـل : اتصال فى الجملة وتحريف خلط الصنف الثانى من الطرائق، فهو هـكذا :
« ... أكثرها استعمالا تنقل الأنهار، وهو أفصحها ... » .
والصحيح، أن الثانى من الطرائق : (نوبهـار)، وهو أفصحها مقاطع، وليس فى أسماء الطرائق بالفارسية ما هو أقرب من ذلك .
فأما الخمسة الطرائق الباقية فلم نستدل على أسمائها تماما فنقلناها كما هى .

و « أَمرنَه » ، وهو أجمَعُها لمحاسِنِ النغم وأكثَرُها تصعُّدًا وانحدارًا .

و « مادَارُوستان » ، وهو أثقَلُها .

و « سايكار » ، وهو المحبوبُ للأرواح .

و « سيسمْ » ، وهو المحسّن المُنقَّل .

و « خُوِيران » ، وهو الدَّرَجُ الموقوفُ على نغمه .

وكان غناءُ أهل خُراسانَ وما والاهَا بالشَّنج (١) ، وعليـه سبعة أوتار ، وإيقاعُه يشبه إيقاعَ الصَّنْج .

وكان غناءُ أهـل الرّيّ وطَبَرستان والدَّيلم بالطنابير ، وكانت الفُرس تُقدّم الطنبورَ على كثيرٍ من الملاهى .

وكان غناء النَّبَط (٢) والجَرامقةِ بالغَبْروارات (٣) ، وإيقاعُها يشبه إيقاع الطنابير .

وقال قندروس الرومىّ :

جُعِلت الأوتارُ أربعـةً بإزاءِ الطبائع (٤) ، فجُعِـل الزيرُ بإزاءِ المِرّة الصفراءِ ، والمَثْنَى بإزاءِ الدّم ، والمَثْلَثُ بإزاءِ البلغم ، والبمّ بإزاءِ المِرّة السّوداء .

---

(١) « والشنـج » : ضرب من الجنك ، ومنه الآلة المعروفة قديما باسم (جنكله) ، وهى من ذوات الأوتار أقرب إلى الرباب ـ وبالأصل : « الزنج » ، وهو تحريف .

(٢) « النبط » : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، ومنهم الجرامقة .

(٣) لم نجـد فى العربية ما هو باسم « غبروارة » ، وإنما يوجد ما يدل على أن لفظ (عير) بالعين المهملة ، يعنى الطبـل أو كل ما هو أجوف ، ويبـدو أن (الغبروارات) لفظ أصطلاحى للعجم لجنس من ذوات الأوتار .

(٤) المرة الصفراء : مزاج للانسان قد يغلب عليه ، وكذلك المرة السوداء ، والدم ، والبلغم ، فهذه هى المزاجات الأربعة التى قد يغلب بعضها على الإنسان فيتأثر به ، فجعلوا النغم بإزائها لتخفيفها أو لتنشيطها .

وللروم من الملاهي « الأُرغن »(١) ، وعليه ستة عشر وترًا ، وله صوتٌ بعيدُ المذهب ، وهو من صنعة اليونانيّين .

و « السّلْياق »(٢) ، وله أربعةٌ وعشرون وترًا ، وتفصيلُه أَلْفُ صوت .

ولهم « اللّورا »(٣) ، وهى : الرّباب(٤) ، وهى من خشب ، ولها خمسةُ أوتار .

ولهم « القيثارة »(٥) ، ولها اثنا عشر وترًا .

ولهم « الصليخ »(٦) وهو من جُلود العجاجيل ، وكلُّ هذه معازِفُ مُختلفة الصفة .

---

(١) بالأصل : « الأرمى » ويبدو أنه تحريف ، والأصح : « الأرغن » ، وقد جاء كذلك فى كتاب (حاوى الفنون وسلوة المحزون) ، لأبى الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الطحان — مخطوط ، رقم ٥٣٩ فنون جميلة — بدار الكتب المصرية .

(٢) فى الأصل : « السلبان » والتصويب عن المخطوط المشار إليه .

(٣) « اللورا » ويقال : « ليرا » ، وهو أقرب إلى اسمها الأعجمى (Lyre) ، والأصل فيها الآلة المصرية القديمة التى كانت تسمى (الرباب الحبشى) ، وأهل النوبة يسمونها : « طنبورة » ، وهى من مشتقات (الكنارة) التى استعملها المصريون القدماء فى الأسرة الثامنة عشرة ، ويرتب فيها خمسة أوتار .

(٤) وتسميتها : الرباب ، ترجع إلى أن صندوقها المصوت كان يشد عليه جلد رقيق ، فأما المعروف الآن باسم (رباب) فهى الآلات ذات القوس ، التى يجر على أوتارها .

(٥) « القيثار ، والقيثارة » : كلاهما اسم أعجمى آخر فى الليرا ، أو الكنارة ، وما يعرف الان باسم « Giutar » فهو من جنس الالات التى تقمم أوتارها بالأصابع كالعود والطنبور ، وأما القيثارة عند القدماء فهى من جنس المعازف .

(٦) « الصليخ » : يبدو أنه لفظ بالعربية محرف عن « سليخ » ، عندما تستعمل جلود الحيوان فى أصناف من المزامير ، كزمار القرب .

ولهم « الأُرغانُن »(١) ، وهو ذو منافخ من الجلودِ والحديد .

[٢٥٦] وللهند « الكَنْكلة »(٢) ، وهى وترٌ واحد يُمَدّ على قرعةٍ فيقوم مَقام العُود والصَّنج .

قال :

وكان الحُداءُ فى العرَب قبل الغِناء(٣) ، وقد كان مُضَرُ بْنُ نزارِ بنِ مَعَدّ سقط عن بعيرٍ فى بعض أسفارِه فانكسَرتْ يدُه ، فجعل يقول : (يايداهُ يايَداهْ) ، وكان من أحسنِ الناس صوتاً ، فاستَوْسَقت الإبِلُ وطابَ لها السّير ، فاتّخذه العرَبُ حُداءً برَجَز الشعر(٤) ، وجعلوا كلامَه أوّلَ الحُداء(٥) ، فمن قول الحادى :

---

(١) « أرغانون Organon » : يراد به الأرغن المزمارى ، وله منافخ من الأنابيب المعدنية مركبة على زقاق من الجلد ، وهو آلة محدثة تطورت عن الالة القديمة البدائية التى كان العرب يسمونها : « الشعبية Panpipe » . وهى عدة أنابيب من القصب مختلفة الأطوال على تدريج كان ينفخ بها الرعاة قديما .

(٢) « الكنكلة » : آلة من فصيلة الرباب ، صندوقها المصوت أشبه بإناء مستطيل قائم كالكوز المسمى بالفارسية (كنك) ، ويشبه أن تكون التسمية محرفة عن الفارسية ، ولها ذراع طويل يشبه ما فى الرباب المصرى القديم ، غير أنه يقال : إنها من ملاهى الهند ، وقد ذكرت كذلك فى أكثر من مرجع .

وذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه (الأغانى) ـ أخبار عبد الله بن العباس الربيعى ، قال ، بإسناده الخبر عن حماد بن إسحاق الموصلى :

« سمعت عبد الله بن العباس الربيعى يقول : أنا أول من غنى بالكنكلة فى الإسلام ، ووضعت عليها هذا الصوت :

أتانى يُؤامِرنى فى الصَّبو * ح ليلاً فقلتُ له غادِها

(٣) قوله : « الحداء فى العرب قبل الغناء » ، تعبير غير صحيح تماما ، لأن الحداء ضرب من الغناء موزون بالإيقاع وله جنس من النغم ، والأصح أن يقال : إن الحداء أول الغناء عند العرب .

(٤) « رجز الشعر » : يعنى بحر الرجز ، لسهوله قسمة الحروف المصوتة فيه على إيقاع لحن الحداء ، وهو من الثقيل الأول أكثر ذلك ، لانتظامه على خطو الإبل ، ويتميز بمد أواخره فى الأجزاء التامة من اللحن .

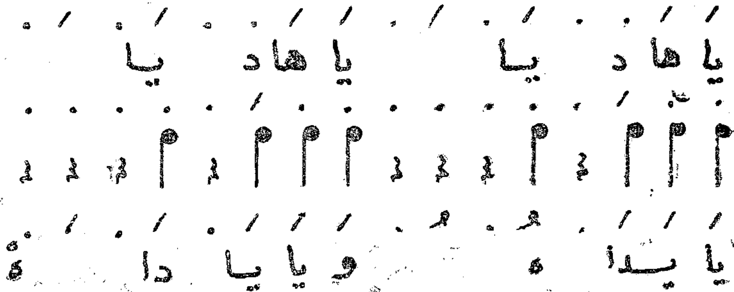
(٥) « أول الحداء » : يعنى استهلالا فيه ، قبل الشعر الذى يكون فيه الحداء ، من بحر الرجز .

(ياهادِيا ياهادِيا * يايداهُ وَيايداه)[1]

وكأن الحُداءُ أوّلُ السّماع والترجيع فى العرب ، ثم اشتُقّ الغناءُ من الحداء ، وتحنّ نساءُ العرَب على مَوْتاها ، ولم تكن أمّةٌ من الأمم ، بعد فارسَ والرُّوم ، أولعَ بالملاهى والطّرب من العرَب .

(١) وهــذا الاستهلال من منهوك الرجز ، ومتى استوفى شطره ثلاثا ، فهو من الرجز التـام ، وتفعيله : (مستفعلن) ثلاث مرات فى شطر البيت .

وتفصيل هذا المبدأ ، من منهوك الرجز ، فى إيقـاع الثقيل الأوّل ، على جنس من النغم محدود ، إنمـا يكون تقطيعه هكذا :



وهذا هو ضرب الأصل فى إيقاع الثقيل الأوّل ، وعلى وزن ذاك المبدأ قول الشاعر :

* أعطيتهُ لو سألا *

* حكّمتُه لو عدَلا *

* قلبى به فى شُغُلٍ *

* يا حبّذاك الشُّغُلا *

— أنظر : (الموجز فى شرح مصطلحات الأغانى) ، فى أجناس الإيقاع ، والأنغام عند العرب .

وكان غناؤهم النصب، ثلاثة أجناس : الرُّكبانى[١]، والسِّناد الثقيل[٢]، والهزج الخفيف[٣][٤].

وكان أوّلُ من غنّى من العرب الجرادتان[٥]، وكانتا قينتين على عهدِ عاد، لمعاوية بنِ بكر العماقِيّ.

وكانت العربُ تسمى القَيْنة : الكرِينة[٦]، والعودَ : المِزهر، وكان غناءُ أهل اليمن بالمعازِف، وإيقاعُها[٧] جنسٌ واحد، وغناؤهم جنسان : حنفيّ وحِميَريّ، والحنفِيّ أحسنُهما.

ولم تكن قريشٌ تعرف من الغِناء إلا النَّصب، حتى قدِم النَّضرُ بن الحارِث[٨] ابن كَلَدَةَ بنِ علقمة بنِ عبدِ مَناف بنِ عبد الدارِ بنِ قُصَيّ، من العِراق وافداً على كِسرىٰ بالحيرة، فتعلّم ضربَ العُود والغِناءَ عليه فقدم مكّة فعلّم أهلَها فاتّخذوا القَيْنات.

---

(١) قوله : « وكان غناؤهم النصب، ثلاثة أجناس »، تعبير غير دقيق، لأن النصب ضرب من الحداء أعلى طبقة وأرق، والأكثر أنه غناء القيان، فى المراثى، والنوح جنس فيه.

(٢) « الركبانى » : غناء الركبان من الرجال، وهو الحداء عامة.

(٣) « السناد » هو الغناء المتقن الثقيل الذى يصاحب بالآلات الصناعية، فيكون أفخم صنعة، ويوقع على جميع الطرائق اللحنية المعهودة.

(٤) « الهزج » : هو الغناء الخفيف الموقع على أزمنة الموصلات المتساوية، ويشبه الأهازيج فى زماننا، مما تؤخذ على الإيقاع المسمى (الواحدة الكبيرة).

(٥) « الجرادتان » : يعنى جرادتى عاد، وقد سبق ذكرهما فيما تقدم، من كتاب (الملاهى وأسمائها) للفضل بن سلمة النحوى.

(٦) « الكرينة » : الضاربة على الكران، وقوله : العود هو المزهر ليس بصحيح.

(٧) « إيقاعها » : يريد نغم المعازف.

(٨) « الحارث بن كلدة » : من فرسان العرب وشعرائهم.

والغناءُ يرِقّ الذّهن ويلينُ العريكةَ ويهيجُ النفسَ ويسرُّها ويشجع القلبَ ويُسخّي البخيل، وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ويُحدثان له نشاطا، ويُفرّجانِ الكَرب، والغناءُ على الإنفراد يفعل ذلك.

وفضلُ الغناءِ على المنطق[1] كفضْل المنطق على الخرس والبرْءِ على السقم، وقد قال الشاعر:

لا تبعثنّ على همومك إذ ثوتْ * غيرَ المُدام ونغْمة الأوتار

فلله دَرُّ حكيمٍ استنْبطه[2] وفيلسوفٍ استخرجه، أيُّ غامضٍ أظهر وأيُّ مكنونٍ كَشَف، وعلى أيّ فنٍّ دلّ، وعلى أيّ عِلْم وفضيلة سبق، فذلك نسيجُ وحدهِ وقريعُ دهره.

---

(١) «المنطق»: الكلام، وكلام كل شيء منطقه.

(٢) قوله: «فلله درحكيم استنبطه» يعني الغناء.

والغناء مادّة العلم بالألحان المصوغة فى الأقاويل ذات المعانى المعقولة، وأقرب هذه ما كان منظوما أجزاء كالشعر، والغناء فيه صناعة فى لحن القول، واللحن هو الخروج عن صواب الكلام المنظوم على مجرى العادة إلى طرائق فى أجناس من النغم والايقاع يزاحف بها فصول الحروف المصوتة على نمط محدود بالتلحين، فصاحب الصناعة فى إخراج اللحن والنطق به هو هيئة فى الصيغة، وصاحب الصوت الحسن فى سماعه هيئة فى الأداء، والفضل أولا لصاحب هيئة الصيغة.

وكل لحن ليس مصوغا على أسس معلومة فى التلحينات تتميز بعنصرى النغم والايقاع، فيبدو فيه الارتجال على غير نسق محدود، فهو هرج وتخليط قد يلجأ إليه عادة صاحب هيئة الأداء على غير نهج فى الصنعة، فلا يسعفه فى ذلك حسن الصوت، لأن الصوت الحسن يبدو جوهره فى التلحينات الجيدة الصناعة، ليكون اللحن أقرب إلى النفس الناطقة وأكثر تخييلا للمعانى.

— انظر: كتاب (الموسيقى الكبير للفارابى)، المقالة الأولى من المدخل إلى صناعة الموسيقى.

وقد كانت الملوكُ تنام على الغِناء ليسرِيَ في عروقها السّرورُ ، فكانت ملوكُ الأعاجِم لا تنام إلا على غناءٍ مُطربٍ أو سَهَرٍ لذيذ ، والعربيّةُ لا تُنَوِّم ولدَها وهو يبكِي ، خوفَ أن يسرِيَ الهمُّ في جسَدِه ويدبُّ في عِرقِه ، ولكنها تنازِعُه وتضاحِكه حتى ينام وهو فرِحٌ مسرور ، فينمو جسَدُه ويصفُو لونُه ودَمُه ويشِفُّ عقلُه ، والطّفلُ يرتاح إلى الغناءِ ويستبدِل ببكائه ضحكًا .

وقد قال يحيى بن خالدِ بن برْمك : الغناءُ ما أطرَبكَ فأرقصَك ، وأبكاكَ فأشجاك[1] ، وما سِوى ذلك فبلاءٌ وهمّ .

قال المعتمد :

قد قلتَ فأحسنتَ ووصفتَ فأطنبْتَ وأقمتَ في هذا اليومِ سُوقًا للغناءِ وعِيدًا لأنواع المَلاهي ، وأنّ كلامَكَ لمِثْلُ الثوبِ المُوشّى ، يجتمع فيه الأحمرُ والأصفرُ والأخضر وسائرُ الألوان ، فما صفةُ المُغنّي الحاذِق ؟ .

قال ابن خُرداذْبة : المُغنّي الحاذق ، يا أميرَ المؤمنين ، من تمكّن من أنفاسِه ولَطُف في اختِلاسِه وتفرّعَ في أجناسِه[2] .

(١) كذا بالأصل ، ولعل العكس أقرب ، بفرض أن البكاء أعسر على الإنسان من الشجى .

(٢) وفي مثل ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني ، باسناده الخبر إلى مالك بن أبي السمح الطائي ، قال :

سألت ابن سريج عن قول الناس : هذا يصيب أو يخطىء ، وهذا يحسن أو يسيء ، فقال : « المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان ، ويملأ الأنفاس ، ويعدل الاوزان ، ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفى ما شاكلها في الضرب من النقرات » .

— انظر (الأغاني) ج ١ / ٣١٥ طبع دار الكتب المصرية ، أخبار ابن سريج المغني .

قال المعتمد . فعلى كم تنقسم أنواعُ الطَرَب ؟

قال : على ثلاثة أوجهٍ [١] ، يا أمير المؤمنين ، وهى :

طَرَبٌ محرِّك مستخِفٌّ لأريحيّة ، يُنعِش النفسَ ودواعيَ الشّيَم عند السّماع .

وطَرَبُ شَجنٍ وحُزن ، لا سيّما إذا كان الشعرُ فى وصف أيّام الشبابِ والشوقِ إلى الأوطانِ ، والمراثِى لمَن عدِم الصبرَ عن الأحباب .

وطَرَبٌ يكون فى صفاءِ النفس ولطافةِ الحِسّ ، لا سيّما عند سماع جَوْدة التأليف وإحكام الصّنعة ، إذ كان مَن لا يعرِفه ولا يفهمهُ لا يَسرُّه ، بل تراه متشاغِلاً عنه ، فذلك كالحجر الجَلْمد والجمادِ الصّلْد ، سواءٌ وجودُه وعدَمُه . [٢٥٧]

وقد قال ، يا أمير المؤمنين ، جمهورٌ من الفلاسِفة المتقدّمين وكثيرٌ من حكماءِ اليونانيّين : من عرضت له آفةٌ فى حاسّة الشمّ كرِه رائحـةَ الطِّيب ، ومن غَلُظَ حِسُّه كرِهَ سماعَ الغِناءِ فتشاغل عنه وعابَه وذَمّه .

قال المعتمد : فمـا منزلةُ الإيقاع وأنواع الطرائق [٢] وفُنون الغناء ؟

قال : قد قال فى ذلك ، يا أمـير المؤمنين ، من تقدّم : إن منزِلةَ الإيقاع من الغِناءِ منزِلةُ العَرُوضِ من الشّعر [٣] وقد أوضحوا الإيقاع وسَمّوه بسِماتٍ ولقبوه

(١) أنظر كتاب (الموسيقى الكبير للفارابى) — المقالة الأولى من المدخل ص / ٦٢ أصناف الألحان وغاياتها .

(٢) بالأصل : « ... الطرق » ، وطرائق الألحان هيئاتها فى المسموع باختلاف أجناس النغم والإيقاع .

(٣) « العروض » : علم نظم الشعر العربى والنطق به منظوما على مجرى العادة فى المخاطبات . فأما منزلة الإيقاع من الغناء فشبيه ذلك بوجه آخر ، وهو نظم القول على هيئات لحنية ذات ترجيعات وأسلوب فى مدّ المصوتات وقصرها على أزمنة محـدودة ، فالإيقاع بمنزلة عروض أخرى فى تلحين الأشعار والخروج بها إلى طرائق يجوز فيها مالا يجوز فى الشعر ، و يبدو هذا واضحا فى الغناء المتقن ذى الإيقاع .

بألقاب ، وهو أربعة أجناس [(١)] :

ثقيلُ الأوّل وخفيفهُ ، وثقيلُ الثاني وخفيفُه ، والرَّمَلُ الأوّلُ وخفيفُه ، والهزجُ وخفيفُه .

والإيقاعُ هو الوَزْن ، ومعنَى « أوقع » : وزَن ، ولم يوقّع : خرَج من الوزن ، والخروجُ إبطاءٌ عن الوَزْن أو سُرعة .

فالثقيلُ الأول نقرهُ [(٢)] :

ثلاثةٌ ثلاثة ، اثنتانِ ثقيلتان بطيئتان ، ثم نقرةٌ واحدةٌ [ثقيلة ساكنة] .

[وخفيف الثقيل الأول ، نقرهُ [(٣)] :

ثلاثةٌ ثلاثة ، على نَسق الثقيل الأوّل ، أخفّ قدراً] .

وثقيل الثاني : نقرهُ [(٤)] :

اثنتانِ متواليتانِ وواحدةٌ بطيئة ، واثنتان مَردُودتان .

---

(١) وهذه الأجناس الأربعة ، الثقيل منها والخفيف ، قد فصل كل منها في أصوله وضروبه ونقراته في كتابنا : (الموجز في شرح مصطلحات الأغاني) .

(٢) « الثقيل الأوّل » : أصل في الإيقاعات العربية ، من جنس ثقيل المتساوي الثلاثي ، فهو ثلاث نقرات ثقال متواليات ، وفاصلة دوره مثل مجموع زماني الأولى والثانية ، وله عدة ضروب ، ويشبه ما يعرف الآن اصطلاحا باسم أصول (مخمس عربي ٨/٤) .

(٣) زيادة بتصرف يكمل بها سياق القول ، وهي بين القوسين .

فأما خفيف الثقيل الأوّل فهو نصف دور الثقيل الأوّل من جنسه ، ويشبه ما يعرف الآن اصطلاحا باسم (أصول صوفيان ٤/٤) .

(٤) بالأصل : « وخفيف ثقيل الثاني ... » ، وهو تحريف .

فأما الثقيل الثاني ، فدور الأصل فيه يخرج من جنس ثقيل المتفاضل الثلاثي ، الذي يقدم فيه أصغر زمانيه ، وهو : نقرتان متواليتان ، ثم نقرة ثقيلة ساكنة تساوي مجموع زماني الأولى والثانية ، ويشبه ما يعرفه المحدثون اصطلاحا باسم : أصول (مدوّر عربي ٦/٤) .

[وخفيفُ ثقيل الثانى ، المُسمّى « الماخورى » (١) : اثنتانِ مُزدوَجتان ، ثم واحدةٌ ساكنة ، أخفّ قدراً من الثقيل الثانى] .

[والرَّمل (٢) نقرهُ :

واحدةٌ منفردةٌ ساكِنة ، ثم اثنتانِ متواليتان ، وبين كلّ ثلاثةٍ فى دورٍ وقفةٌ] .

وخفيف الرَّمل (٣) نقرهُ :

اثنتان اثنتان مُزدوَجتان ، وبين كلّ زوجٍ وقفة .

والهزَج (٤) نقرهُ : واحدةٌ واحدةٌ مستويتان ، مُمسَكة .

وخفيف الهزج (٥) نقرهُ :

واحدةٌ واحدةٌ متساويتانِ فى نسقٍ واحدٍ أخفّ قدراً من الهزَج .

---

(١) زياده بتصرف بين قوسين ، يقتضيها ترتيب الايقاعات .
فأما خفيف الثقيل الثانى ، وهو (الماخورى) فهو نصف دور الثقيل الثانى بالتخفيف ، من جنس سريع المتفاضل الثلاثى ، وليس له نظير تماما فى الايقاعات المحدثة ، إلا ما يمكن إدراجه بميزان (٦ / ٨) على ترتيب الماخورى .

(٢) زياده بين القوسين ، بتصرف يقتضيها سياق القول فى ترتيب الايقاعات .
فأما (الرمل) فهو من جنس ثقيل المتفاضل الثلاثى الذى يقدم فيه أعظم زمانيه المتواليين ، ثم فاصلة الدور مثل مجموعهما ، وهو عكس إيقاع الثقيل الثانى ، وله عدّة ضروب ، أشهرها عند المحدثين الان ما يعرف باسم : أصول (سنكين سماعى ٦/ ٤) .

(٣) « خفيف الرمل » : أصل فى الايقاعات العربيه ، من جنس خفيف المفصل الثنائى ، نقرة ثم فاصلتها ضعفها فى دور واحد ، ويشبه ما يسميه المحدثون فى زماننا : أصول (سماعى دارج ٣/ ٤) ، وهو نصف دور الرمل .

(٤) « الهزج » : هو أخف الايقاعات العربية ، وهو الموصل على نسق واحد ، نقرات متساويات ، وقد يفصل بعض هذه فى نقرتين أو أكثر ، فيشبه ما يعرف الان باسم أصول (الواحدة الكبيرة ٢/ ٤) .

(٥) « خفيف الهزج » : نقرات متساويات فى نصف زمان الهزج الموصل ، وقد يفصل بعض هذه فى نقرتين مطويتين ، ويشبه ما يعرفه المحدثون الان باسم : أصول (طاير ١/ ٤) .

والطرائق ثمـان[١] :

الثقيلانِ الأول والثـانى ، وخفيفاهُما ، وخفيفُ الثقيل الثانى منهما يُسمّى بالمـاخورىّ ، وإنّمـا سُمى بذلك لأن إبراهيمَ بن ميمونٍ الموصلىّ[٢] ، وكان من أبناءِ فارسٍ وسكن المَوْصل ، كان كثيرَ الغناءِ فى هذه المَواخِير[٣] بهذه الطريقة .

والرَّمـلُ وخفيفهُ ، [والهـزج وخفيفـهُ[٤]] ، ويتفـرع من كلّ واحدٍ من هـذه الطـرائق مَزْمـومٌ[٥] ومُطلَق ، وتختلف مواقـعُ الأصابع فيهمـا فيحدُث لهـا ألقابٌ تُميَّزُ بها ، كالمَحصُور والمَحمُـول[٦] ، والمَحثُوث والمَخـلُوع[٧]

(١) « الطرائق » : واحدها طريقة ، وهى فى الموسيقى الهيئات اللحنية التامة الأجزاء المميزة فى جنس من الايقاع محدود وجنس من النغم محدود .

(٢) « الماخورى » : هو إيقاع (خفيف الثقيل الثانى ٦/٨) ، وسمى كذلك من التمخير ، وهو الاسراع بالتقلة على أعتدال فى إيقاع الثقيـل الثـانى ، وكان إبراهيم الموصلى مولعا بالتلحين على إيقاع « المـاخورى » ، ويتميز بطى الأولى والثانية فى نقرتين على التوالى ، وهو ضرب من التمخير ، أى الإسراع الذى لا يبدو واضحا فى الثقيل الثـانى .

(٣) والقول بأن اسم (المـاخورى) مشتق من لفظ « المواخير » ، وأن إبراهيم الموصلى كان يتغنى به فيها ، فهو من قبيل التفسيرات والشروح السيئة فى علم الألحان .

(٤) زيادة بين قوسين ، لاستكمال القول .

(٥) « المزموم » : تعـريف قديم فى أجناس النغم ، التى كان القـدماء يسمونها مواجب الأصابع ، والمراد أن نغم اللحن مزموم بالاصبع السبابة على الدستان المسمى بهذا الاصبع . فأما المطلق ، فيعنى تنزيل جنس النغم على نغمة مطلق الوتر دون تقييده بأحد الأصابع .

(٦) بالأصل : « كالمحصور والمجبول ... » ، وهو تحريف .

فأما المحصور فهو الجنس من النغم الذى يحصر على دستان البنصر ، أى أن نغمته الأساسية محصورة على هذا الدستان . وأما المحمول ، فيراد به جنس النغم المحمول بالوسطى ، وهذه النغمه إما أنها الوسطى القديمة قبل عهد إسحاق وإما أنها الوسطى تماما ، وهى وسطى زلزل .

(٧) بالأصل : « والمخدوع » ، وهو تحريف ، ولعلها : المخلع أو المخلوع .

والإدراج[١] .

والعودُ، عند أكثر الأمم وجُلّ الحُكماء ، يونانِيّ[٢] ، صنعَه أصحابُ الهندسة على طبائِـع الإنسان ، فإن أعتـدلت أوتارهُ على الأقـدارِ الشريفة جانَس الطبائع فأطرَب ، والطَّرَب ردُّ النفس إلى الحال الطبيعيّة دفعةً .

وكلُّ وترٍ مثلُ الذى يلِيه ومِثـلُ ثُلثِه[٣] ، والدستان الذى يلِى الأنفَ موضوعٌ

---

(١) بالأصل : « والارواح » ، تحريف .

والمحثوث والمخلوع والادراج ، ألفاظ للقدماء فى هيئات الصناعة العملية ، فالمحثوث من الحث وهو الاسراع ، والمخلوع ، هو البطيء النقلة ، فأما الإدراج فهـو تخفيف زمان النقلة الواحدة إلى نقرتين أو أكثر ، بإعطائهـا نقلتين أو أكثر فى زمانها بدلا من النقرة الساكنة .

(٢) قوله إن العود يونانى صنعه أصحاب الهندسة ، جهل بالتاريخ الذى يشير إلى أن العود أصله للعرب ، واللفظ عربى يرجع إلى أوائل القرن الثانى للهجرة .

(٣) قوله : « ... مثل الذى يليه ومثل ثلثه » ، يعنى أن أوتار العود الأربعة ، ترتّب فى الغلظ من مادة واحدة ، من البم إلى الزير بنسبة المثل والثلث إلى المثل ، وتسوى الأوتار من حيث طبقات نغمها على هذا القياس .

فالبم مثل وثلث المثلث الذى يليه ، وهو أغلظها وأثقلها طبقة .

والمثلث مثل المثنى ومثل ثلثه .

والمثنى كذلك ، مثل وثلث الزير .

والزير ، وهو أدقها غلظا وأعلاها طبقة على قدر محدود .

ولمـا كانت الأوتار الأربعة إذا تناسبت هذا التناسب فى الأقطار وقوة الشد ، فهى بذلك من حيث طاقات الأوتار ، من الأثقل إلى الأحد ، بنسبة الحدود :

٦٤	/	٤٨	/	٣٦	/	٢٧
البم		المثلث		المثنى		الزير

على خط التُّسع[1] من جملة الوتَر .

فهذه ، يا أمير المؤمنين ، جوامعُ فى صِفة الإيقاع ومُنتَهى حدودِه .

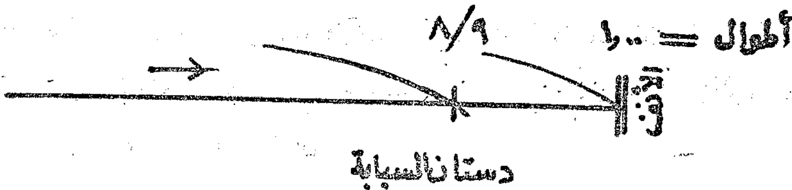
ففرح المعتمِدُ فى هذا اليوم وخلَع على ابن خُرداذْبةَ وعلى من حَضَرَه من ندمائهِ وفضَّله عليهم ، وكان يومَ لهوٍ وسرور .

* * *

= وبوجه آخر، فان كيفيات النغم الحادثة من هذا الترتيب تكون عكسية مع تلك المقادير، فتكون معدلات تردد الأوتار من الأثقل إلى الأحد على التوالى بالحدود :

	٢٧	/	٣٦	/	٤٨	/	٦٤
بالنغمات :	(لا)		(رى)		(صول)		(دو)
	La		Re		Sol		Do

(١) « على خط التسع ... ... » : يعنى أن أول الدساتين القائمة ، مما يلى أنف العود ، وهو دستان السبابة ، يشد على تسع طول الوتر ، فيتردد منه باقيه :



(نبــذةٌ فى الرقص وشمائله)

قال المسعوديُّ فى سِياق ما تقدّم :

« فلما كان فى صبيحة تلك الليــلة ، دعا المعتمِدُ مَن حضَر فى اليوم الأوّل ، فلما أخذوا مراتِبهم من المجلس قال لبعض من حضَرهُ من ندمائه :

صِفْ لىَ الرقصَ وأنواعَهُ والصفةَ المحمودةَ من الرقّاص ، واذكُر لى شمائلَه ، فقال المسئول :

يا أمــير المؤمنين ، أهلُ الأقالــيم والبُلدانِ مختلفونَ فى رقصهم ، مثلُ أهلِ خُراسانَ وغيرهم ، بجملةُ الإيقاع فى الرّقص ثمانيةُ أجناس[1] :

الخفيفُ والهزَج ، والرَّملُ وخفيفُ الرَّمَل ، وثقيلُ الثانى وخفيفهُ ، وخفيفُ الثقيل الأوّل وثقيلُه .

والرَقّاصُ يحتاج إلى أشياءَ فى طِباعه ، وأشياءَ فى خلقتِه ، وأشياءَ فى عملِه .

فأمّا ما يحتاج إليــه فى طباعِه خفّــةُ الرّوح وحسنُ الطّبع على الإيقاع ، وأن يكون طالِبهُ مرِحًا إلى التدبير فى رقصِه والتصرّفِ فيه .

---

(١) وهذه الأجناس الثمانية فى الرقص هى بأعيانها إيقاعات الألحان ، مما يوحى بأنّ الرقص عند العرب قديما كان لا يتجاوز الألحان ، فإما أن يصاحبها أو أن يوقع على نغم الآلات فى هذه الاجناس من الايقاعات وضروبها .

وأما ما يحتاجُ إليـه فى خِلقتهِ ، فطـولُ العُنق والسّوالِف ، وحسنُ الدّلّ والشمائِل، والتمايُل فى الأعطاف ، ودقّة الخَصْر ، وحسنُ أقسام الخلْق ، ووافعُ المناطق[(١)] وإستدارةُ الثياب من أسافِلها ، ومخارجُ النّفَس والإراحة ، والصّبرُ على طول الغاية ، ولطافَةُ الاقدام ، ولِينُ الأصابع ، و إمكان لِينهـا فى نَقْلها ، وما يتصّرف فيه من أنواع الرّقص ، من الأيلّا[(٢)] ، ورقص الكُرة[(٣)] وغيره ، ولينُ المفاصل ، وسرعةُ الانفِتالِ فى الدّوران ، ولينُ الأعطاف .

---

(١) « المناطق » : يريد بها جمع (منطقة) ، مما يتمنطق به الراقصون فى أوساطهم ، كالزنار .

(٢) فى الأصل : « من الإبل و رقص الكرة ... » وهو تحريف .

والأيلا : رقص قديم جاء ذكره فى كتاب (الأغانى) مع صنف آخر ، كان يعرف باسم : (دستبند) ، ومعناه : الحلقة أو السوار ، عرفه العرب عن العجم ، وهو أن تتشابك فيه الأيدى على هيئة دائرة .

قال أبو الفرج الأصفهانى ، باسناده الخـبر إلى أحمد بن صدقة الطنبورى ، قال : « دخلت على المأمون يوم السعانين و بين يديه عشرون وصيفة جلبا روميات مزنرات ، وقد تزين بالديباج الرومى وعلقن فى أعناقهن صلبان الذهب ، وفى أيديهم الخوص والزيتون ، فقال لى : و يلك يا أحمد ، قد قلت فى هؤلاء أبياتا فغننى فيها ، ثم أنشدنى :

ظباءٌ كالدنانـيرِ * ملاحٌ فى المَقاصِيرِ

جلاهُنّ السّعانينُ * علينا فى الزّنانـيرِ

وقد زرّفْنَ أصداغًا * كأذنابِ الزّرازيرِ

وأقبـلْنَ بأوساطِ * كأوساطِ الزّنابـيرِ

قال فحفظتها وغنيته فيهـا ، فلم يزل يشرب وترقص الوصائف بـين يديه أنواع الرقص من « الدستبند » إلى « الايـلا » ، حتى سكر ، فأمر لى بألف دينار ، وأمر بأن ينثر عليهن ثلاثة آلاف دينار » .

(٣) « رقص الكرة » : قد يكون هو مايراد به بالفارسية : « الدستبند » أو هو ما كان يسمونه : رقص الدوارة .

وأما ما يحتاج إليه فى عمله ، فكثرةُ التصرُّفِ فى ألوانِ الرقص ، وإحكام كل جزءٍ من حُدوده ، وحسنُ الاستِدارة ، وثَبـاتُ القدمين على مَدارِهما ، [٢٥٨] واستِواءُ ما تعملُ يُمنَى الرِّجلِ ويُسْراها ، حتى يكون فى ذلك واحدًا .

ولِوَضْع القَدم ورفعِها وجهان :

أحدُهما : أن يُوافِق بذلك الإيقاع ، والآخر أن يتثبَّطَ(١) به ، فأكثرُ ما يكون هو فيه أمكَنُ وأحسَن .

فليكن ما يوافِق الإيقاع فهو من الخَبِّ الحسَنِ سـواءٌ ، وأما ما يَتثبَّط به فأكثرُ ما يكون هو فيه أمكَنُ وأحسَن ، فليكن ما يُوافِق الإيقاع مترافِعاً(٢) ، وما يَتثبَّط به مُتسافِلاً(٣) .

قال المسعوديّ :

وللمعتمِد مُجالساتٌ ومُذاكرات ، ومَجالِسُ قد دُوِّنت فى أنواعٍ من الأدب ، منها مدْحُ النَّديم وصفاتُه وعَفافُه وأمْنُ عَبثِه ، والتّداعِى فى المُنادَمات ، والمُراسَلات فى ذلك ، وعددُ أنواع الشّرب فى الكثرة ، وهيئـةُ السّماع وأقسامُـه وأنواعه ، وأصولُ الغناءِ ومبادِئُه فى العرَب وغيرها من الأُمم ، وأخبارُ الأعلام مِن مَشهورِى المُغنِّين المتقدِّمين والمُحـدَثين ، وهيئةُ المَجالِس ، ومنازِلُ التابِعِ والمَتْبُوع ، وكيفيّة مراتِبهم ، وتعبئةُ مَجالِس النُّدماءِ ، والتحيّات ، كما قال العَطوِىّ فى ذلك :

(١) « يتثبط » : يتوقف أو يبطىء فى الحركة متعمدا .

(٢) « مترافعا » : ظاهر الحركة واضحها .

(٣) « متسافلا » : يعنى الحركات التحتية الغير الظاهرة ، بقصد الإبطاء .

حَيِّ التحيّةَ أصحابَ التحيّاتِ * القائلـينَ إذا لم تَسْقِهم هاتِ

أما الغداةَ فسَكْرىٰ فى نعيمهمُ * وبالعشىِّ فَصَرْعَى غيرُ أمواتِ

وبين ذلك قَصْفٌ لا يعادِلُهُ * قصفُ الخليفةِ فى لهوٍ ولذّاتِ

قال المسعودىّ :

« وقد أتَيْنا على وصفِ جميع ذلك فى كتابنا (أخبار الزمان) مما لم يتقدم له ذِكر ... ... » .

*

* *

(تمّ المُلحق بكتاب الملاهى وأسمائها من قِبل الموسيق)

للمفضّل بن سلْمة النحوىّ المتوفى سنة ٢٩٠ هـ .

نقلا عن كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبى الحسن المسعودىّ المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، من رواية أبى القاسم عُبيد الله بن خرداذبة المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، ومن رواية أحد ندماء المعتمد عن الرّقص وأنواعه وشمائله

مطبعة دار الكتب ٥٢٥٨/١٩٨٤/٣٣٠٠٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٥٢٣ / ١٩٨٤

الترقيم الدولي 1 - 0481 - 01 - 977